

حكم الإسلام

مبادئ قيامه .. ماهيته .. أهدافه

آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين. من الضروري على كل أحد أن يهتم بإقامة حكم الإسلام في البلاد، وتطبيق القانون الإسلامي في مختلف شعب الحياة، حتى تكون السيادة لكلمة الله التي هي العليا، وتكون الدولة للمسلمين، ويكون المنهاج منهاج الدين، والطريقة طريقة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام). فإن مسلك آبائنا الأولين الذين نعموا بالسعادة والرفاه والحرية، هو الصحيح، وكان ذلك من جرّاء العمل بدستور القرآن المبين، وعلينا اتباع ذلك، قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم» (١).

وبما أن حكم الإسلام، اكتنفه شيء من الغموض لدى البعض، فوضع أمامه علامات استفهام، وجعل طريق قيامه، ولم يعرف الهدف منه، فلا بد من أن نقوم بشيء من الشرح والإيضاح، ليعرف:

أولاً: ما المراد بحكم الإسلام، وما هي مبادئه؟.

وثانياً: ما هو طريق الوصول إلى حكم الإسلام وتنفيذه في البلاد؟.

وثالثاً: ما هو الهدف الذي نتوخاه من إقامة حكم الإسلام؟.

والله الموفق المستعان.

كربلاء المقدسة / ١٣٨٩ هـ

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

١- نهج البلاغة، الرسائل: ج ٧؛ ومن وصية له (عليه السلام) للحسن والحسين (عليهما السلام) لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

الفصل الأول

المراد بالحكم الإسلامي

تعريف حكم الإسلام

الموضوع الأول هو: تعريف الحكم الإسلامي وبيان المراد بحكم الإسلام.
واللازم أن نعرف أن الحакمية المطلقة في الكون لله تعالى، بكلا قسمي الحاكمية:
ألف: التكوينية
ب: التشريعية.

الحكومة التكوينية

ألف: الحاكمية التكوينية، بمعنى أن الله سبحانه هو الذي خلق الكون الواسع، بما فيه من الذرة إلى المجرة، ولم يشاركه أحد في ذلك، وهو المسير للكون، وهو المصلح لما يطرأ عليه من الخلل، وهو المربي، وهو المهيم، وأخيراً هو الذي يفني الكون، فلا يبقى إلا وجهه الكريم، فالكون حدوثاً وبقاءً وفناءً منه تعالى دون غيره.

من إله غير الله؟

وهل هناك أحد يزعم أن غير الله تعالى خلق الكون، أو اشترك في خلق الكون؟

فمن هو ذا غير الله يا ترى؟.

١: هل هو الشيء بنفسه؟.

كأن يقال: إن القمر هو الذي خلق القمر، والماء هو الذي خلق الماء، والحمام هو الذي خلق الحمام!.

وهذا لا يُعقل ولا يقوله عاقل، فالشيء قبل وجوده عدم محض ونفي صرف، والعدم والنفي، لا يتمكنان من

خلق شيء أبداً.

٢: هل أن الخالق للشيء هو الطبيعة؟

كأن يقال: إن الطبيعة هي التي خلقت القمر والماء والحمام!.

وهذا لا يمكن، ولا يقوله إلا غير الملتفت.

إذ لنا أن نتساءل: ما هي الطبيعة التي تقولون: إنها الخالقة للأشياء؟

هل هي النار والهواء والضياء والشمس والماء والنجوم والتراب، وما أشبه؟

فإذا قلتم: نعم.

قلنا: وهل هذه الأشياء تعقل أو تشعر أو تدرك أو تعلم وتعرف؟ حتى تتمكن من خلق هذا الكون الفسيح، بما فيه من الحيوان والإنسان المدرك ذي الشعور العاقل؟.

ثم.. من ذا الذي خلق نفس الطبيعة: النار والهواء والضياء و...؟.

وإن قلتم: إن الطبيعة هي القوة المسيرة للكون..

قلنا: ما مصدر تلك القوة؟

ومن أوجدها؟

وأين هي؟

وكيف هي؟

وهل هي تعقل وتشعر وتدرك؟.

فلم يبق إلا أن نقول: إن الخالق للكون والمسير لما فيه والمربي له والمفني له - في المستقبل - هو (الله العليم القدير، السميع البصير، المدرك الحي، المربي المريد).

قال تعالى: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) (١).

وقال سبحانه: ((وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)) (٢).

وقال تعالى: ((وَالِىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَمَنْ ذَرَاهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ)) (٣).

وقال سبحانه: ((وَالِىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (٤).

وقال تعالى: ((وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ)) (٥).

وقال سبحانه: ((وَالِىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ

١- سورة الأعراف: ٥٩.

٢- سورة الأعراف: ٦٥.

٣- سورة الأعراف: ٧٣.

٤- سورة الأعراف: ٨٥.

٥- سورة هود: ٥٠.

وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ)) (١).

وقال تعالى: ((وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ)) (٢).

وقال سبحانه: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)) (٣).

وقال تعالى: ((فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)) (٤).

وقال سبحانه: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ)) (٥).

وقال تعالى: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)) (٦).

وقال سبحانه: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ)) (٧).

من خلق الله؟

يبقى سؤال واحد، وهو: فمن - يا ترى - خلق الله؟

والجواب: إن الله لا خالق له، لأنه غني بذاته، فإن الشيء إما (ممكن) أو (واجب)، والممكن يحتاج إلى الخالق، أما الواجب فهو أزلي أبدي، لم يكن معدوماً في حال من الأحوال حتى يحتاج إلى الموجد، ولم يكن نفيًا حتى يحتاج إلى المثبت.

أزمة الأمور طرأ بيده

كل شيء في هذا الكون مسيرٌ حسب إرادته عز وجل، وهذه هي الحكومة التكوينية.

قال تعالى: ((ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)) (٨).

وقال سبحانه: ((تَسْبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)) (٩).

١- سورة هود: ٦١.

٢- سورة هود: ٨٤.

٣- سورة المؤمنون: ٢٣.

٤- سورة المؤمنون: ٣٢.

٥- سورة القصص: ٧١.

٦- سورة القصص: ٧٢.

٧- سورة الأنعام: ٤٦.

٨- سورة فصلت: ١١-١٢.

٩- سورة الإسراء: ٤٤.

حتى الإنسان بالذات، فإنه مسير في أموره التكوينية حسب إرادة الله تعالى، فمجيء الإنسان إلى الحياة، وموته، ولون بشرته ومواهبه الفطرية، وعمل أعضائه الداخلية من قلب وكبد ورنة ودم، وشكله الحسن أو القبيح، و... كلها حسب إرادة الله التكوينية وحده، ليس لنفس الإنسان ولا لغيره مدخلية في هذه الأمور إلا نادراً، وفي النادر أيضاً يكون بمشيئة الله تعالى وحسب قانون الأسباب والمسببات الذي جعله الباري عز وجل. نعم للإنسان (إرادة) و (أجهزة حركة) وهما بيده، بإذن الله تعالى، فيتمكن من أن يغمض عينيه أو يفتحهما، يأكل أو يمسك، يمشي إلى مقصده أو يقف، يكتب أو لا يكتب، يتكلم أو يسكت، يخدم أو يهدم، يتعلم أو يبقى جاهلاً، يفعل الخير أو الشر، وهكذا.

وقد أعطى الله تعالى هذه الإرادة ومحل تنفيذها، للإنسان، ليمتحنه: هل يستقيم أم ينحرف؟

هل يطيع أم يعصي؟

هل يمتثل أم يخالف؟

قال تعالى: ((إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً)) (١).

وقال سبحانه: ((وهديناه النجدين)) (٢).

ثم إن هذه الإرادة وهذه الإمكانيات التي وضعت في يد الإنسان، إنما هي تحت رقابة الله ومحاطة بإرادته سبحانه: ((والله من ورائهم محيط)) (٣) فليس للإنسان إلا الحركة في دائرة صغيرة جداً، وليس له الاستقلال إلا بقدر ضئيل جداً - إن صح التعبير - والأمور كلها بيد الله سبحانه، وهو مسبب الأسباب. إن الله عز وجل خلق الإنسان مختاراً في دائرة الفعل والترك، ويحاسبه في الدنيا والآخرة على ما يعمل من خير، أو يقترب من شر ((إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها)) (٤).

الحكومة التشريعية

ب: الحاكمية التشريعية، بمعنى أن الله سبحانه الذي خلق الكون والإنسان، قرّر قوانين وأنظمة، ونهج سبيل الخير والصلاح، وجعل للبشر دساتير وأحكاماً، في مختلف شعب الحياة، وجميع شؤون الإنسان من قبل ولادته إلى بعد مماته، بغرض أن يسعد الإنسان في الحياة، ولأجل أن يعيش في رفاه وأمن وسلام. والتشريع لله سبحانه وتعالى دون غيره، قال عز وجل: ((وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) (٥).

١- سورة الإنسان: ٣.

٢- سورة البلد: ١٠.

٣- سورة البروج: ٢٠.

٤- سورة الإسراء: ٧.

٥- سورة المائدة: ٤٤.

وقال تعالى: ((وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) (١).

وقال سبحانه: ((وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) (٢).

آخر صيغة في القانون الإلهي

وهذا القانون الإلهي، كانت له صيغ مختلفة، متحدة في الجوهر، مختلفة في الشكل، ملائمة لكل زمان، جاءت بها الأنبياء (عليهم السلام) إلى أممهم، حتى جاءت الصيغة الأخيرة، الملائمة للبشر في مختلف مراحل الحياة، المسايرة للزمن وتطوره إلى الأبد، في قالب (الإسلام) الذي جاء به سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله).

قال تعالى: ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (٣).

وقال سبحانه: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) (٤).

شمولية القانون الإسلامي

وقد اشتمل القانون الإسلامي على:

١: بيان الحقائق الكونية، من المبدأ والمعاد، والجبر والاختيار، والرسالة والرسول، والخلافة والإمامة، والجنة والنار، والسعادة والشقاء.

٢: بيان الأخلاق والآداب، وصلاح الفرد والمجتمع، ومناهج الروح والجسد.

٣: بيان العبادة والطاعة، والخضوع والامتثال، وعمل الإنسان أمام خالقه العظيم.

٤: بيان ما يحتاجه الإنسان في علاقاته الاجتماعية، من مناهج السياسة، وشؤون الاقتصاد، وديناميات الاجتماع، وأنظمة التربية، وغيرها، بما فيها من الشعب المختلفة، كالجيش والأمن، والقضاء والإفتاء، والحدود والمواريث، والنكاح والطلاق، والمعاملة والمتاجرة، و...، وبيان المحلل منها والمحرم، والمكروه والمستحب.

الأنظمة الجوهرية والكلية

وقد اشتمل هذا القانون الإلهي، المرتبط بالعمل والنظام على نوعين من الأنظمة:

الأول: الأنظمة الجوهرية، التي لا تتغير ولا تتبدل، ولا تتحول ولا تتطور، لأنها هي - دون سواها - صالحة للبشر، وموجبة للحياة السعيدة، مثل:

(قانون العبادة).

و (قانون حرمة الظلم والغصب والخيانة وما أشبه).

١- سورة المائدة: ٤٥.

٢- سورة المائدة: ٤٧.

٣- سورة آل عمران: ٨٥.

٤- سورة المائدة: ٣.

و (قانون الحقوق المالية الذي ينعش الفقير ويقوم المجتمع به).
و (قانون الأخلاق الفاضلة، كالصدق والشهامة).
و (قانون حرمة الأمور المضرة بالنفس أو الجسد كالخمر والقمار).
الثاني: الأنظمة الكلية، التي تصلح للتطبيق على متطلبات اليوم، وتواكب تطورات الزمن، مثل:
(قانون الحرية) المنطبق في يوم ما على حرية السفر - مثلاً - براً وبحراً، والمنطبق في هذا اليوم على حرية السفر براً وبحراً وجواً.
و (قانون مراعاة الحقوق) المنطبق في يوم ما على حق التحجير وحيازة المباحات، والمنطبق في هذا اليوم بالإضافة إلى ذلك، على حق الطبع والنشر، وحق التسجيل والاختراع.
و (قانون إباحة الطيبات) المنطبق في يوم ما على اللحم والأرز والسمن والسكر، والمنطبق في هذا اليوم بالإضافة إلى ذلك، على البرتقال والطماطم والبطاطا.
و (قانون حرمة المسكرات والقمار والمضرات) المنطبق في يوم ما على الخمر والافيون والشطرنج، والمنطبق في هذا اليوم بالإضافة إلى ذلك، على (الكنياك) و (الهروئين) و (الدومنة).

الحاكمية لله عز وجل

فالإسلام دين كامل، يتضمن أحكام جميع مراحل الحياة، ومختلف شؤون الفرد والمجتمع.
وحيث إن الحاكم هو الله سبحانه، لا غيره، لا بد وأن تكون حاكمية البشر مستمدة منه، دون سواه، لتكون شرعية، فليس لفرد أو جماعة أن يحكموا باسم أنفسهم، ولا باسم أسيادهم المستعمرين، ولا باسم الشعب^(١)، وإنما يجوز الحكم باسم الله، وبإذنه...
كما أنه ليس لفرد أو جماعة أن يقرروا أنظمة، أو يشرعوا قوانين، بل إنما اللازم على الفرد أو الجماعة، الذي يحكمون بإذن الله، وباسم الله، أن يتبعوا قوانين الله وأحكامه، ويطبقوه على الحياة ولا يحدوا عنه قيد شعرة.
نعم للفرد الحاكم، أو الجماعة الحاكمة، بإذن الله وباسم الله، أن يجتهدوا حتى يعرفوا وجه انطباق كليات الشريعة، على المصاديق الخاصة، المتجددة في كل زمان ومكان، ويطبقوا تلك الكليات والقواعد العامة على الموارد الخاصة وينفذوا أمر الله بالنسبة إلى تلك الموارد.

١- أي من دون مراعاة الجانب الشرعي في ذلك، حيث يجوز للشعب اختيار حكامها بشرط رعاية الموازين الشرعية التي عينها البارئ عز وجل، علماً بأن الاختيار لا يكون بالنسبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام المعصوم (عليه السلام) فإنه حجة الله على الأرض ويعين بتنصيب الله عز وجل ويعرف بالمعاجز التي يمنحها الله تعالى إياه.

نتيجة البحث

إذا...

أ: إن الحاكم هو الله عز وجل، والذي أذن الله له في أن يحكم، وإنما يجوز له الحكم باسم الله تعالى.

ب: إن الحاكم إنما يحكم وفق قوانين الله، وحسب ما قرره الباري من أنظمة وديساتير.

والذين أذن الله لهم في الحكم، هم:

أولاً: الأنبياء (عليهم السلام).

ثانياً: أوصياء الأنبياء (عليهم السلام).

ثالثاً: العلماء الذين اكتمل لديهم فهم الدين وفقه الشريعة، وتوفرت فيهم العدالة والنزاهة الكاملين، ولهم الخبرة بأمور الدين والدنيا، من معرفة موارد الأمور ومصادرها، والمقادير الكافية لتسيير دفة البلاد، وإعلاء كلمة الله، والأخذ بأزمة الأمور، وقيادة الأمة إلى الصواب والصلاح، وخلاصة القول: معرفتهم بإدارة البلاد والعباد حسب ما أمر به الله عز وجل.

ومثل هؤلاء العلماء، هم الذين يديرون البلاد، بمعية وکلانهم المتصفون أيضاً بالعدالة وفهم الدين والتمكن من القيام بالمهام الملقة على عاتقهم، مضافاً إلى الاستشارة الدائمة مع ذوي الخبرة والاختصاص في الأمور المختلفة كالسياسة والاقتصاد والحرب والسلام والمعاهدات الدولية وما أشبه.

تسمية الولاية

وتكون تسمية (الرئيس الأعلى) في الدولة الإسلامية وکلانته المفوض إليهم الأمور، طبق ما ورد في الشريعة من الأسماء والألقاب، مثل (والي) و (القاضي) وما أشبه.

مع تعدد الفقهاء

وإذا تعدد العلماء الصالحون الجامعون للشرائط، فألحدهم الحق في أن يأخذ بالزمم، وللأمة الحق في أن تقلد أحدهم ذلك عبر الانتخابات الحرة، كما إن لمجموعتهم الحق في أن تقوم بالأمر - إدارة البلاد والعباد - بالاستشارة، وللأمة الحق في أن تقلد مجموعتهم الأمر بأسلوب الشورى، فينتخبوا مجموعة منهم أو كلهم لإدارة الأمور ضمن مجلس شورى الفقهاء المراجع.

والحاصل أن هناك حق للفقهاء وحق للأمة، وفي فرض تعدد الفقهاء جامعي الشرائط، يحق للأمة اختيار أحدهم أو بعضهم أو كلهم، والأفضل أن يتم الاختيار لشورى الفقهاء المراجع، لكي يديروا البلاد والعباد عبر هذه الشورى لا الفرد الواحد (١)، على ما يستفاد من الآيات والروايات.

الاستشارة في القرآن والسنة الشريفة:

قال تعالى: ((فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَبِثَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)) (٢).

١- هذا كله بالنسبة إلى غير المعصوم، أما المعصوم (عليه السلام) فيتم اختياره بالنص والتعيين الإلهي لا باختيار الناس.

٢- سورة آل عمران: ١٥٩.

- وقال سبحانه: ((وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)) (١).
- وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «الحزم أن تستشير ذا الرأي وتطيع أمره» (٢).
- وقال (صلى الله عليه وآله): «إذا أشار عليك العاقل الناصح فاقبل وإياك والخلاف عليهم فإن فيه الهلاك» (٣).
- (٤).
- وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها» (٤).
- وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال علي (عليه السلام) في كلام له: «شاور في حديثك الذين يخافون الله» (٥).
- وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا رأي لمن انفرد برأيه» (٦).
- وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ما عطب من استشار» (٧).
- وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من شاور ذوي الأسباب دل على الرشاد» (٨).
- وقال الصادق (عليه السلام): «شاور في أمورك ما يقتضي الدين، من فيه خمس خصال: عقل وعلم وتجربة ونصح وتقوى وإن تجد فاستعمل الخمسة واعزم وتوكل على الله فإن ذلك يؤديك إلى الصواب» (٩).
- وقال لقمان: «يا بني شاور الكبير ولا تستحي من مشاورة الصغير» (١٠).
- وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «شاور قبل أن تعزم وفكر قبل أن تقدم» (١١).
- وقال (عليه السلام): «شاور في أمورك الذين يخشون الله ترشد» (١٢).
- وقال (عليه السلام): «شاور ذوي العقول تأمن الزلل والندم» (١٣).
- وقال (عليه السلام): «من شاور ذوي العقول استضاء بأنوار العقول» (١٤).
- وقال (عليه السلام): «من شاور ذوي النهى والألباب فاز بالنجح والصواب» (١).
-
- ١- سورة الشورى: ٣٨.
- ٢- مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٤٢ ب ٢٠ ح ٩٦١٠، والمستدرک: ج ٨ ص ٣٤٤ ب ٢١ ح ٩٦١٧.
- ٣- أعلام الدين: ص ٢٩٥ فصل من كلام سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله).
- ٤- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٦١.
- ٥- وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٢ ب ٢٢ ح ١٥٥٩٣.
- ٦- كنز الفوائد: ج ١ ص ٣٦٧ فصل من كلام أمير المؤمنين وآدابه وحكمه (عليه السلام).
- ٧- كنز الفوائد: ج ١ ص ٣٦٧ فصل من كلام أمير المؤمنين وآدابه وحكمه (عليه السلام).
- ٨- كنز الفوائد: ج ١ ص ٣٦٧ فصل من كلام أمير المؤمنين وآدابه وحكمه (عليه السلام).
- ٩- مصباح الشريعة: ص ١٥٣ ب ٧٢ في المشاورة.
- ١٠- الاختصاص: ص ٣٣٨ بعض وصايا لقمان الحكيم لابنه (عليه السلام).
- ١١- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤١ ق ٦ ب ٤ ف ١ مدح المشاورة ح ١٠٠٥٤.
- ١٢- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٢ ق ٦ ب ٤ ف ١ شاور هؤلاء ح ١٠٠٧٧.
- ١٣- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٢ ق ٦ ب ٤ ف ١ شاور هؤلاء ح ١٠٠٧٨.
- ١٤- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٢ ق ٦ ب ٤ ف ١ شاور هؤلاء ح ١٠٠٨٠.

وقال (عليه السلام): «من شاور ذوي الألباب دل على الصواب» (٢).
وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «خير من شاورت ذوو النهى والعلم وأولو التجارب والحزم» (٣).
(
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «باكروا فالبركة في المبكرة، وشاوروا فالنجح في المشاورة» (٤).
وروي: أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما بلغه خروج قريش لحماية العير شاور أصحابه، فقال قوم: خرجنا غير مستعدين للقتال، وقال المقداد: امض لما أمرك الله به فو الله لو دخلت بنا الجمر لاتبعناك، فجزاه خيراً وأعاد الاستشارة، فقالوا: امض يا رسول الله لما أردت فसार (صلى الله عليه وآله) ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» (٥).
إلى غيرها من الروايات.

مدة الرئاسة

وأما مدة بقاء الرئيس أو المجموعة - شورى الفقهاء - في الحكم، فتلك رهن الشرائط المأخوذة في المرجع، والتي يلزم توفرها فيه، فما دامت الشرائط (من الفقاهاة والعدالة والقدرة) متوفرة فيه، فهو مأذون من قبل الله تعالى بالحكم وإدارة البلاد، حتى لو طالبت فترة حكمه خمسين سنة، نعم لو حددت الأمة زمناً للحكم فيلزم التقيد به في غير المعصوم (عليه السلام).

وإذا فقد القائد إحدى الشرائط، فلا إذن له في البقاء حتى ساعة واحدة وإن لم تنته المدة، فإن بقاءه ضمن المدة أو مطلق، مشروط بقبول الأمة لبقائه مع توفر الشروط الشرعية، فإن لم ترض الأمة به فلا بقاء له وإن جمع الشرائط.

وحينئذٍ لو فقد شرطاً أو عزلته الأمة، يجب عليه التنحي عن الحكم، وإن لم ينتج بنفسه وجب على الأمة تنحيته وعزله.

الإيمان وطهارة المولد

ومن نافلة القول: الإشارة إلى لزوم كون من يدير دفة البلاد الإسلامية - فرداً كان أم مجموعة - طاهر المولد، لا ولد الزنا، وأن يكون مسلماً مؤمناً، لا كافراً أو منحرفاً.

قال تعالى: ((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)) (٦).

١- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٢ ق ٦ ب ٤ ف ١ شاور هؤلاء ح ١٠٠٨١.

٢- الإرشاد: ج ١ ص ٣٠٠ فصل ومن كلامه (عليه السلام) في الحكمة والموعظة.

٣- مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٤٣ ب ٢٠ ح ٩٦١٣.

٤- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤١ ق ٦ ب ٤ ف ١ مدح المشاورة ح ١٠٠٥٢.

٥- فقه القرآن: ج ١ ص ٣٥١ كتاب الجهاد، باب حكم ما أخذ من دار الحرب بالقهر.

٦- سورة البقرة: ١٢٤.

وقال سبحانه: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)) (١).

وقال تعالى: ((وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)) (٢).

وقال سبحانه: ((وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)) (٣).

وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) (٤).

وقال سبحانه: ((أَقِمْنَ أَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) (٥).

وقال تعالى: ((لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)) (٦). وقال عز وجل: ((إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)) (٧).

وقال سبحانه: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) (٨).

وعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام): ((لا ينال عهدي الظالمين)) (٩) فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة» (١٠).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومودبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومودبهم» (١١).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: «خمسة لا يؤمنون الناس ولا يصلون بهم صلاة فريضة في جماعة: الأبرص والمجنون وولد الزنا والأعرابي حتى يهاجر والمحدود» (١٢).

١- سورة الحجرات: ٦.

٢- سورة الأنبياء: ٧٣.

٣- سورة السجدة: ٢٤.

٤- سورة المائدة: ٥١.

٥- سورة التوبة: ١٠٩.

٦- سورة آل عمران: ٢٨.

٧- سورة آل عمران: ٦٨.

٨- سورة النساء: ٥٩.

٩- سورة البقرة: ١٢٤.

١٠- راجع الكافي: ج ١ ص ١٩٩ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته ح ١.

١١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٧٣.

١٢- من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٧٨ باب الجماعة وفضلها ح ١١٠٤.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «كل حاكم يحكم بغير قولنا أهل البيت فهو طاغوت» (١).
تعدد الولاية بتعدد الولايات

كما إن من نافلة القول أيضاً: الإلماع إلى أنه لا يوجد دليل على وجوب أن يكون المرجع، لكل بلاد الإسلام واحداً، بل جاز أن يكون لكل قطر رئيساً، أو شورى، لإدارة دفة القطر.
ومن الواضح أنه في حال تعدد الرؤساء للبلاد، يلزم أن يكون بينهم تعاون لتعمير البلاد، وهداية العباد، وتطبيق حكم الله، والوقوف صفاً واحداً أمام الأجانب والطامعين.
وهذا لا ينافي كون البلاد الإسلامية بلداً واحداً ولا حدود جغرافية بينها، حسب قانون (الأمة الواحدة) فإنه من تعدد الولاية بتعدد الولايات (٢).

طاعة الفقيه المنتخب

ويجب على الأمة إطاعة الفقيه المنتخب الجامع للشرائط المذكورة سابقاً، أو شورى الفقهاء المراجع مع تعددهم، في الأوامر والنواهي التي تصدر مطابقة لأوامر الله تعالى ونواهيه فيما يرتبط بإدارة البلاد والعباد.
أما في الشؤون الفردية، مثل خصوصيات الصلاة، وواجبات الزوج أمام زوجته والعكس، ومسائل حج الفرد وعمرته، وما أشبه، فالإنسان مخير في أن يأخذ الأحكام الشرعية المرتبطة بهذه الشؤون الخاصة، من الفقيه الحاكم الجامع للشرائط والمنتخب لرئاسة الدولة، أو من المجتهد العادل غير المتصدي، لأن كلا منهما ينطبق عليه قول الإمام (عليه السلام): «أما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه» (٣).

١- دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٥٣٠ كتاب آداب القضاة ح ١٨٨٣.

٢- كما هو الحال في أمريكا، فإنها بلد واحد مع اشتغالها على أكثر من خمسين ولاية، ولكل ولاية رئيس.

٣- راجع وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٣١ ب ١٠ ح ٣٣٤٠١، وفيه: (مخالفاً على هواه).

الفصل الثاني

السبيل إلى حكم الإسلام

طرق تنفيذ الحكم الإسلامي

الموضوع الثاني: بيان طريق تنفيذ حكم الإسلام في البلاد.

فما هو السبيل للوصول إلى حكم الإسلام؟

وكيف يمكن استبدال الحكم الجاري في المحاكم والدوائر والمعاملات والمصانع وغيرها، بحكم الإسلام الذي أنزله الله من السماء، وبينه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرون (عليهم السلام)، وجمعه وبوَّبه العلماء الراشدون، حتى تسود الشريعة وقوانين الدين، عوض القوانين التي اخترعها البشر، وبدل الأنظمة السائدة الآن في البلاد مكان حكم الله عز وجل؟

نواة العمل

إن سبيل الوصول إلى حكم الإسلام وتنفيذه في البلاد، يبدأ بتشكيل جماعة مخلصّة تتبنى هذا الأمر - أي العمل من أجل إعادة حكم الإسلام إلى البلاد - ويلزم أن تتوفر فيهم شروط عديدة، منها:

١: الثقافة الإسلامية، أي فهم الإسلام كما أمر به الله عز وجل وطبقه رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

٢: العدالة والنزاهة النفسية وعدم الاغترار بمباهج الدنيا.

٣: الإخلاص لقضية الإسلام والمسلمين.

٤: الصبر إلى أبعد حد، لتحمل الصعاب والمشاكل.

٥: تحري الحقيقة، في جميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم.

٦: التمسك بالسلم واللاعنف أمام كل ما يلقونه من عنت وإرهاق وعنف وإرهاب.

٧: نصب الهدف أمام العين ليل نهار، والجد في العمل دائماً، وعدم ابتغاء أي شيء آخر من سمعة أو سلطان أو مال.

فإذا تبنت الجماعة (النواة) هذا الأمر، من أجل الهدف المنشود، فعليهم التركيز على الأمور التالية:

- ١: تثقيف الأمة.
- ٢: تصنيع البلاد.
- ٣: خدمة الناس.
- ٤: التنظيم.
- ٥: تهيئة الأجواء.
- ٦: التنسيق.
- ٧: الاهتمام ببلاد الغرب.
- ٨: اللاعنف.

١

تثقيف الأمة

أول ما يلزم على الجماعة (النواة) التي تأسست للوصول إلى الحكم الإسلامي: التثقيف، بدءاً بأنفسهم وانتهاءً بجميع أفراد الأمة.

تثقيف الذات

أولاً: تثقيف الذات بالثقافة الإسلامية، والثقافة المعاصرة الغازية، والمقارنة بينهما، ليعرفوا نقاط القوة في الإسلام، ونقاط الضعف في القوة الغازية، كما يلزم الاستمرار في تثقيف أنفسهم وعدم الاكتفاء بمقدار معين، حتى يقوم حكم الإسلام بإذن الله تعالى ويظهر إلى الوجود، ويخرج من العزلة إلى الألفة، وبعد ذلك أيضاً.

قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله): ((وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً)) (١).

أما أصل لزوم تثقيف أنفسهم بالثقافة الإسلامية على نطاق واسع، فلأن فاقدة الثقافة لا يتمكن أن يبني الفكرة بناءً صحيحاً، ولا يشخص الهدف تشخيصاً مصيباً، ولا يقدر أن يرد الفروع المرتبطة بالأحكام الإسلامية والقواعد العامة إلى الأصول رداً صحيحاً، وحينئذ يكون الانتاج الفكري والعملي إما ضحلاً لا يلائم جلال الإسلام ورونقه، وإما منحرفاً لا يرتبط بالإسلام.

وأما لزوم أن يستمروا في تثقيف أنفسهم، حتى قيام حكم الإسلام، بل وبعده أيضاً، فلأن الزمان متطور، والتطور الزمني مستلزم لتطور الأفكار والأعمال والروابط والعلاقات الاجتماعية وغيرها، فتتجدد مسائل، وتحدث أفكار وأعمال، فإذا لم يكن الشخص على تثقيف دائم، واستنتاج مستمر، ربما يسبقه الزمن ويقع في أخطاء توجب ضحالة النتائج، أو عقم الفكرة عن الإنتاج الخصب اللائق.

فمثلاً: في مجال أصل تثقيف الإنسان نفسه، يجب أن يعرف الاقتصاد الإسلامي، ويتعرف على مختلف الأنظمة الاقتصادية السائدة في عالم اليوم، ثم يقارن بينها، ليصل إلى نقاط تفوق اقتصاد الإسلام على اقتصاد الغرب والشرق، ويتمكن من معرفة القانون الإسلامي في هذا المجال ويرشد الآخرين إليه، فيأخذ بالدعوة إلى الاقتصاد الإسلامي الذي هو أليق بالإنسان؟ وأكثر تعميماً للرفاه والرخاء؟.

وفي مجال استمرار الإنسان في تثقيف نفسه لأجل أن لا يسبقه الزمن، فتتطور الأوضاع بما يجعل الإنسان مسيراً لها على خلاف قصده وإرادته، أو متخذاً قراراً غير صائب، فإن مقتضى الإسلام أن تكون حملته مسيرين للأوضاع على نهج صحيح خلاق، مثلاً إذا طرأت على المجتمع الإسلامي ظروف غير ملائمة، احتيج معها إلى طرح قدر كبير من الثقافة الراقية والأفكار البناءة، أو تعزيز القوات الدفاعية أو ما أشبه، وكان ذلك متوقفاً على بذل مال كثير، لا تكفي بسده موارد الدولة، فهل يحق للدولة أن تفرض ضرائب مؤقتة على الأمة، أم يرجح على ذلك أن تستقرض من البنوك والصناديق الدولية قرضاً وإن كان بربح وفائدة أم يرجح على ذلك أخذ الحقوق الشرعية من الأمة بالإكراه، لعدة سنوات محددة فقط، أو ما أشبه ذلك؟.

إلى غيرها من الأمثلة والتي تستدعي من المثقفين والمفكرين المؤمنين إبداء آرائهم ومقترحاتهم في ذلك مع رعاية الموازين الشرعية، لتوجيه الأمة توجيهاً صحيحاً وهذا ما يدل على لزوم الاستمرار في التثقيف والمعرفة، خصوصاً وأن الإسلام لا بد وأن يستوعب جميع مرافق الحياة المختلفة، بحيث لا يشذ عنه شاذ.

تثقيف المسلمين

ثانياً: تثقيف المسلمين بالثقافة الإسلامية، والسعي الجاد في ذلك، فإن القرنين الماضيين سبباً جمود ثقافة المسلمين وأوجبا قطع صلة المسلمين بالإسلام ككل، وإنما بقيت الصلة ببعض جوانب الإسلام فقط. ولذا ضلحت - إلى أبعد حد - معرفة المسلمين بالإسلام، حتى ظن الكثرة الكاثرة منهم: أن الإسلام عبارة عن الصلاة والصيام والمسجد الخراب، ورجل الدين المنزوي، وترتيل القرآن في المقابر، وكتب دينية رديئة الطباعة ومعقدة الألفاظ، وما أشبه!.

أما أن الإسلام نظام كامل يملأ فراغ الروح والجسد، ويفيض عليه، وأن القرآن هدى ونور وسعادة، وأن الدين الذي أنزله الله تعالى هو أحسن الأنظمة والقوانين، وأنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة مما يحتاج إليه الإنسان في كل زمان ومكان إلا أحصاها... فذلك ما يجهله أكثر المسلمين، بل لا يعرفه حتى الأقل من الواحد في الألف منهم، فإذا بينت لهم هذه الحقيقة، لامتلكهم العجب، وأخذتهم الدهشة.

فإن قرنين من الجمود الذي فرضته السلطات الآخذة بزمam المسلمين، مضافاً إلى ما فرضه المستعمرون على المسلمين^(١)، أوجب هذا الانحراف في الفكر، والاحتفاظ في مستوى المعلومات، والتأخر عن ركب الحياة،

١- فمثلاً: احتل البريطانيون العراق بكامله خلال أربع سنوات بين عام ١٣٣٣هـ - ١٣٣٧هـ (١٩١٤م - ١٩١٨م)، بعد أن مهدوا لذلك قرابة ثلاثة قرون من النشاط التجسسي والتجاري والدبلوماسي، ودخلت القوات البريطانية مدينة الفاو عام ١٣٣٣هـ وبالتحديد في (السادس من تشرين الثاني عام ١٩١٤م) بقيادة بيرسي

والوقوف في مرحلة واحدة.

مع أن الآخرين قطعوا أشواطاً كبيرة في العلم والصناعة، والسلاح والنظام، والمدنية والحضارة (١).

كوكس، ثم احتلوا مدينتي القرنة والعمارة عام ١٣٣٤هـ (الثالث من حزيران عام ١٩١٥م)، ثم مدينة الناصرية عام ١٣٣٤هـ (الخامس والعشرين من تموز عام ١٩١٥م) ثم مدينة بغداد عام ١٣٣٦هـ (الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧م)، ثم تلتها كربلاء والموصل وأربيل ١٣٣٧هـ (١٩١٨م)، وفرضوا على العراق وحدة إقليمية، بصيغتها الجغرافية، العراق بحدوده الحالية، وعينوا حاكماً لها هو بيرسي، وقد طبقوا في العراق النظم الإدارية والقوانين التجارية الهندية وفرضوا عليه التداول بالعملة الهندية (الروبية) وما إلى ذلك. وفي عام ١٣٣٧هـ (١٩١٧م) ألزموا الدوائر باستخدام التأريخ الغربي (الميلادي) إلى جانب التأريخ الهجري القمري. وجعلوا المكاتب الإدارية باللغة الإنجليزية.

واستمر هذا القانون إلى عام ١٣٤١هـ (١٩٢٢م). علماً بأن العراق أول بلد عربي ثار ضد الاحتلال البريطاني عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) بقيادة العلماء المراجع وكان على رأسهم الميرزا محمد تقي الشيرازي (قدس سره).

١- وإليك بعض الإحصاءات في باب التعليم ونسبة الأمية والثقافة:

وضعت منظمة (اوكسفام) مؤشرات (١٠٤) دولة في جدول لتحديد أفضلها في ميدان التعليم، وكشف التقرير عن فاصل كبير بين الدخل القومي والتعليم في عدد من الدول، فعلى سبيل المثال فإن السعودية التي تحتل الموقع ١٢ من حيث الدخل إلا أنها تقع في المرتبة (٤٨) من حيث التعليم وأما الكويت فتقع في الموقع (٥٦).

٥٤. ٧ نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة في العالم العربي وهي أقل نسبة في العالم.

١٢ جامعة في كل الأقطار العربية سنة ١٩٥٠.

٨٢ جامعة في كل الأقطار العربية سنة ١٩٨٠.

٢٠٠ جامعة في كل الأقطار العربية سنة ٢٠٠٠.

١٠. ٠٠٠,٠٠٠ عدد الخريجين من الجامعات العربية عام ١٩٩٧.

٢٩% نسبة المتخصصين في العلوم من مجمل الخريجين في الأقطار العربية.

١% نسبة الإنفاق الإجمالي على التعليم العالي في الأقطار العربية.

١٠. ٧٠٠. ٠٠٠ إيراني لم يتلقوا التعليم في حياتهم وأربعة ملايين منهم دون سن الأربعين عام ١٩٩٠.

٤٠% من النساء في الدول العربية يجدن القراءة والكتابة.

٦٦% من الرجال في الدول العربية يجيدون القراءة والكتابة.

نسبة التعليم الجامعي في الدول العربية حسب إحصاء عام ١٩٩٧:

٤% في موريتانيا

١٠% في المغرب

١١% في الجزائر

١٣% في العراق

١٧% في مصر

٢٩% في لبنان

سبل التثقيف

ولتثقيف المسلمين بالثقافة الإسلامية سبل، يلزم على الجماعة (النواة) التركيز عليها، فإن التطور الثقافي وتوعية الأمة إنما يكون بوسائل منها الأمور التالية:

ألف: تطوير المدرسة العلمية

تطوير المدارس العلمية الدينية، المنتشرة في مختلف البلاد الإسلامية انتشار النجوم في السماء، وذلك بصياغة المطالب العلمية صياغة جديدة، وصبها في قوالب تلائم هذا العصر، فإن المشهور أن الفقه الإسلامي تطور من حيث الأسلوب والنظام والتبويب والترتيب ثلاث مرات وإن كان في الجوهر وأصل الحكم واحداً.

تشير أرقام (اليونسكو) إلى أن أعداد الأمية في العالم العربي بلغت ١٠٥ ملايين أمي في العام ١٩٩٦ عربي وتتوقع (اليونسكو) أن هذا العدد سيرتفع في العام ٢٠١٠ من ١١٥ إلى ١٢٠ مليون أمي.

٦٠ مليون مواطن عربي لا يجدون سبيلاً للمعرفة حسب إحصاء ١٩٩٦.

١٥ مليون شاب عربي خارج التعليم الثانوي حسب إحصاء ١٩٩٦.

٩ ملايين طفل عربي خارج التعليم الابتدائي، حسب إحصاء ١٩٩٦ م.

٤٧% من السكان العرب البالغين كانوا يجهلون القراءة والكتابة في منتصف التسعينات.

مع حلول يوم ٨ سبتمبر (أيلول) الذي يصادف اليوم العالمي لمحو الأمية، قال مدير عام منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو): إن الأمية تشمل رجلاً من أصل خمسة رجال في العالم وهناك امرأة أمية من بين كل ثلاث نساء.

١٦% نسبة المتخلفين عن التعليم الابتدائي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

١١٠ ملايين نسمة من سكان العالم العربي أميين، أي ٤٠% من نسبة السكان.

٦٥. ٥ مليون نسمة عدد الأميين في سن الخامسة عشرة فأكثر في العالم العربي حسب إحصاء ١٩٩٥.

نسبة الأمية في بعض الدول العربية حسب إحصاء ١٩٩٥:

٦٢. ٣% في موريتانيا

٥٣. ٩% في السودان

٤٨. ٦% في مصر

٤٢% في العراق

٣٨. ٤% في الجزائر

٧. ٦% في لبنان

نسبة انتشار الصحف لكل ألف من السكان في الجزائر ٤٦ وفي اليمن ١٧ وفي مصر ٦٤ وفي السعودية ٥٤ وفي الكيان الصهيوني ٨١.

نسبة الكتب الصادرة سنوياً في العالم العربي هي ٤ كتب لكل ١٠٠ ألف.

أولاً: في زمن شيخ الطائفة الطوسي (قدس سره) (١) حيث كتب (الخلاف) (١)، وجدّد للأحكام صيغاً كانت

١- شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥هـ-٤٦٠هـ) فقيه الشيعة وزعيمهم في القرن الخامس، ولد بطوس خراسان في شهر رمضان سنة ٣٨٥هـ بعد وفاة الشيخ الصدوق بأربع سنين، درس أولاً في مدارس خراسان ثم هاجر إلى بغداد سنة ٤٠٨هـ بعد وفاة السيد الشريف الرضي بسنتين وكان عمره آنذاك ٢٣ سنة وبقي في العراق إلى آخر عمره. لازم الشيخ المفيد وتلمذ عليه خمس سنوات، كما أدرك شيخه الحسين بن عبيد الله بن الغضائري المتوفى عام ٤١١ هجرية. وتلمذ على أبي الحسين علي بن أحمد بن محمد بن أبي جيد القمي الذي يروي عنه النجاشي، وفي عام ٤١٣ هـ التحق الشيخ المفيد بالرفيق الأعلى، وانتقلت زعامة الطائفة إلى السيد الشريف المرتضى، فانضوى الطوسي تحت لوانه، واهتم السيد به غاية الاهتمام، وبالغ في إجلاله وتقديره والترحيب به، حتى توفي السيد المرتضى لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦ هـ، فبقي الشيخ بعده ببغداد اثني عشر عاماً. في سنة ٤٤٧ هـ هجم السلاجقة الأتراك على بغداد وأغار عبد الملك الوزير المتعصب لطغرل بيك في ذلك الوقت على مناطق الشيعة وقام بالقتل والنهب كما أنه هجم على دار الشيخ ليقنتله، ولما لم يجده في داره فقد أحرق ما فيها من أثاث وكتب. فانتقل الشيخ من بغداد إلى النجف الأشرف بعد هذه الحادثة المؤسفة فقام بتأسيس الحوزة العلمية هناك. بعد وفاة السيد المرتضى علم الهدى انتقلت زعامة الإمامية إلى الشيخ الطوسي. وكان منزل الشيخ الطوسي آنذاك في محلة الكرخ ببغداد ملجأ ومقصداً للمسلمين. ولقد كان يقصده الكثير من العلماء من شتى أرجاء العالم الإسلامي لينتفعوا منه ويفتخروا بالتلمذ عليه وينهلوا من العلم الإلهي الذي حباه الله به، فقد بلغ عدد تلامذته من الفقهاء والمجتهدين وعلماء الشيعة أكثر من ٣٠٠، وقد حضر عنده أيضاً المئات من علماء أهل السنة. اشتهر الشيخ الطوسي بعلمه وورعه وزهده وتقواه بحيث تعدت شهرته حدود العراق ووصلت إلى أقصى نقاط الدنيا، ووصل خبره إلى قصر الحاكم العباسي فأسند إليه كرسي التدريس في علم الكلام في مركز الخلافة. وكان هذا المنصب يحكي آنذاك عن المنزلة العالية والمقام الشامخ بحيث إنه لا يسند إلا لأفضل علماء البلاد. وهذه علامة على أنه لم يكن في ذلك الزمان أعظم وأفضل من الشيخ الطوسي في بغداد والأراضي الإسلامية يليق بهذا المنصب. إن العلماء عندما يطلقون لقب (الشيخ) في الفقه فإنهم يعنون به الشيخ الطوسي، وإذا قالوا (الشيخان) فإنهم يعنون بهما الشيخ المفيد والشيخ الطوسي.

لقد كانت أسرة الشيخ الطوسي حتى عدة أجيال من العلماء والفقهاء، فابنه الشيخ أبو علي الملقب بالمفيد الثاني فقيه جليل القدر، كما أن بنات الشيخ الطوسي أيضاً كن فاضلات وفقهات.

مؤلفاته: ألف الشيخ الطوسي كتابين من كتب الشيعة الأربعة المشهورة وهما (تهذيب الأحكام) و (الاستبصار). كما كتب في الفقه (النهاية) و (المبسوط) و (الخلاف) وألف في الأصول والحديث والتفسير والكلام والرجال مؤلفات كثيرة، منها: (عدة الأصول) و (الرجال) و (الفهرست) و (تمهيد الأصول) و (التبيان).

وفاته: توفي الشيخ الطوسي ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ٤٦٠ هجرية عن عمر يناهز الخامسة والسبعين عاماً، وتولى غسله ودفنه تلميذه الشيخ الحسن بن مهدي السليقي والشيخ أبو محمد الحسن بن عبد الواحد العين زربي والشيخ أبو الحسن اللؤلؤي، ودفن في داره التي كان يقطنها بوصية منه، وهي الآن من أشهر مساجد النجف الأشرف ويعرف بمسجد الطوسي بالقرب من الحرم الشريف. وبوفاته فقد

مناسبة لذلك العصر، بعد أن كان الفقه في صورة أخرى تناسب عصرها السابق.

ثانياً: في زمن المحقق (٢) ..

العالم الإسلامي واحداً من أعظم وأشهر الفقهاء والذي قل نظيره من حيث الشمولية التي امتاز بها، ولازال الفقهاء يستضيئون بنوره.

١- كتاب (الخلاف) للشيخ الطوسي من الكتب المعروفة المشهورة، وكان الهدف من تأليفه درج الخلاف في المسائل الفرعية بين الخاصة والعامة بنحو استدلاي موجز جامع، وبيان النظرية الصائبة والرأي الصحيح الموافق للكتاب العزيز والسنة الشريفة عن طريق أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، كما ذكر أيضاً المسائل التي أجمعت عليها الشيعة وأشار إلى المسائل التي فيها خلاف بينهم سالكا في ذلك الإيجاز والاختصار. توجد عدة نسخ خطية من هذا الكتاب منها: النسخة الخطية المحفوظة في خزانة مكتبة المدرسة الفيزية - قم المقدسة رقم ٣٩٥، والنسخة الخطية المحفوظة في خزانة مكتبة المدرسة الفيزية - قم المقدسة رقم ٧٣، والنسخة الخطية المحفوظة في خزانة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي - طهران رقم ٨١٣٧، والنسخة الخطية المحفوظة في خزانة مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي - قم المقدسة رقم ٤٥٠ / ١٤. سعت مؤخراً جماعة من المحققين لتحقيقه وقامت بطبعه ونشره مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المقدسة بتاريخ جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ، ويقع في ستة مجلدات.

٢- أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن حسن بن سعيد الهذلي الحلبي، المشهور بالمحقق الحلبي والمحقق الأول (٦٠٢-٥٦٧٢هـ).

أقوال العلماء فيه: قال ابن داود في رجاله: (العلامة واحد عصره كان ألسن أهل زمانه وأقومهم بالحجة وأسرعهم استحضارا قرأت عليه ورباني صغيراً)، وقال العلامة في إجازته لأبناء زهرة: (كان أفضل أهل عصره في الفقه)، وقال الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني: (لو ترك التقيد بأهل زمانه كان أصوب إذ لا أرى في فقهاءنا مثله)، وقال الشيخ البهائي: (إليه انتهت رئاسة الشيعة الإمامية وحضر مجلس درسه بالحلة سلطان الحكماء والمتألهين الخواجة نصير الدين محمد الطوسي)، وفي (أمل الآمل): (جمع العلوم والفضائل والمحاسن، أشهر من أن يذكر وكان عظيم الشأن جليل القدر رفيع المنزلة لا نظير له في زمانه)، وفي (لؤلؤة البحرين): كفاه جلالة قدر اشتهاره بالمحقق فلم يشتهر من علماء الإمامية على كثرتهم في كل عصر بهذا اللقب غيره وغير الشيخ علي بن عبد العالي العاملي الكركي وما أخذ هذا اللقب إلا بجدارة واستحقاق.

أخباره: قيل إن المحقق الطوسي الخواجة نصير الملة والدين حضر ذات يوم حلقة درس المحقق بالحلة حين ورود الخواجة إليها فقطع المحقق درس تعظيماً له وإجلالاً لمنزلته فالتمس منه إتمام الدرس فجرى البحث في استحباب التياسر قليلاً لأهل العراق عن يمين القبلة فأورد المحقق الخواجة نصير الدين: بأنه لا وجه لهذا الاستحباب لأن التياسر إن كان من القبلة إلى غير القبلة فهو حرام وإن كان من غيرها إليها فهو واجب، فقال المحقق الحلبي: (التياسر منها وإليها) فسكت المحقق الطوسي.

مشايخه في القراءة والرواية: ١- نجيب الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلبي الربعي، ٢- السيد فخار بن معد الموسوي، ٣- والده الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد، ٤- الشيخ مفيد الدين محمد بن جهم الحلبي، وغيرهم.

والعلامة (١) (قدس سرهما) ..

تلاميذه: ١- الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي الشهير بالعلامة الذائع الصيت وهو ابن أخت المحقق، ٢- الحسن بن داود الحلي صاحب (الرجال)، ٣- السيد غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاووس صاحب (فرحة الغري)، ٤- السيد جلال الدين محمد بن علي بن طاووس، ٥- جلال الدين محمد بن محمد الكوفي الحارثي شيخ الشهيد، ٦- صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي الشاعر المشهور، وغيرهم.

مؤلفاته: ١- رسالة التيسر في القبلة، ٢- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، ٣- كنز المنطق، ٤- مختصر المراسم في الفقه، والمراسم لسائر الديلمي، ٥- فهرست المصنفين، ينسب إلى المحقق الحلي، ٦- رسالة في الكلام، ٧- المسائل البغدادية، أو جوابات المسائل البغدادية، وهي ٧٢ مسألة فقهية سألها تلميذه الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي المشغرى العاملي، ٨- المسائل العزبية، ١٠- المسلك في أصول الدين، وغيرها

وفاته: توفي على قول ابن داود في رجاله في ربيع الآخر سنة ٦٧٦ فيكون عمره ٧٤ سنة، وعن بعضهم أن تاريخ وفاته يوافق بحساب الجمل - زبدة المحققين رحمه الله - في صبح يوم الخميس ١٣ ربيع الآخر سنة ٦٧٦، حيث سقط الشيخ الفقيه أبو القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلي من أعلى درجة في داره فخر ميتا لوقته من غير نطق ولا حركة فتفجع الناس لوفاته واجتمع لجنائزه خلق كثير وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) وينقل عن بحر العلوم: أنه كان يقف بين باب الرواق وبابي الحرم المطهر في وسط الرواق، فسئل فقال: إني أقرأ الفاتحة للمحقق فإنه مدفون هنا أي في وسط الرواق بين الباب الأولى وبين الاسطوانة التي بين بابي الحضرة المقدسة، والشائع أن قبره في الحلة وهو مزور معروف وعليه قبة وله خدام يتوارثون ذلك أبا عن جد ويمكن أن يكون دفن بالحلة أولاً ثم نقل إلى النجف كما جرى للسيد المرتضى والرضي.

١- الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (٦٤٨-٥٧٢هـ) ولد العلامة الحلي في ٢٩ رمضان سنة ٦٤٨ هـ، في مدينة الحلة. بدأ بتحصيل العلم واكتساب الكمال منذ طفولته. وقد تعلم الأدب العربي والمقدمات والعلوم العصرية في الحلة عند أبيه وسانر علماء المنطقة الكبار، وكذلك عند خاله المحقق الحلي وابن عم أمه الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد والسيد أحمد بن طاووس ورضي الدين علي بن طاووس والحكيم المشهور ابن ميثم البحراني مؤلف (شرح نهج البلاغة). فأكمل المقدمات ونال درجة الاجتهاد ولم يبلغ سن التكليف. ومنذ ذلك الوقت اشتهر بنبوغته وذكائه وفضله. درس الفقه على خاله المحقق الحلي، وفي الفلسفة والمنطق على الخواجة نصير الدين الطوسي، ودرس الفقه السني على علماء السنة.

أساتذته: ١- الخواجة نصير الدين الطوسي، ٢- المحقق الحلي، ٣- الشيخ سديد الدين يوسف، ٤- السيد أحمد بن طاووس، ٥- السيد علي بن طاووس، ٦- ابن ميثم البحراني، ٧- الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد، ٨- الشيخ تقي الدين عبد الله بن جعفر بن علي الصباغ الحنفي.

مؤلفاته: له من الآثار في حدود ١٠٠ كتاب، فقد ألف في الفقه والأصول والكلام والمنطق والفلسفة والرجال وغيرها منها: ١- الإرشاد، ٢- تبصرة المتعلمين، ٣- القواعد، ٤- التحرير، ٥- تذكرة الفقهاء، ٦- مختلف الشيعة، ٧- المنتهى، ٨- شرح التجريد، ٩- منهاج الاستقامة، ١٠- تلخيص الكشاف.

وفاته ومدفنه: توفي العلامة الحلي (رحمه الله) بعد عمر حافل بالجهد والسعي في إحياء الشريعة، في ١١

حيث كتب (الشرائع)(١) ..

و (القواعد)(٢) ..

محرم ليلة السبت أو يومه سنة ٧٢٦ هـ في الحلة المزبانية، وقد حمل نعشه الشريف على الرؤوس إلى النجف الأشرف ودفن في جوار أمير المؤمنين (عليه السلام)، في حجرة إيوان الذهب الواقعة على يمين الداخل إلى الحضرة الشريفة العلوية من جهة الشمال بجنب المنارة الشمالية. وعند تعمير الروضة العلوية فتح باب ثان من الإيوان الذهبي يفضي الباب إلى الرواق العلوي، فصار قبر العلامة في حجرة صغيرة مختصة به على يمين الداخل ممراً للزائرين يقصدونها حتى اليوم، ولها شباك فولاذي، ويقابلها حجرة صغيرة أخرى هي قبر المحقق الأردبيلي مختصة به.

١- (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) من أوسع المتون الفقهية وأحسنها جمعاً للفروع وقد ولع به الأصحاب منذ تأليفه إلى الآن، ولا يزال يعد من الكتب الدراسية في المعاهد الدينية من الحوزات العلمية والجامعات، وقد اعتمد عليه الفقهاء خلال هذه القرون العديدة فجعلوا بحوثهم ودراساتهم على أساس منه، وقد كتب العديد من العلماء في الفقه الاستدلالي شرحاً عليه ك (مسالك الإفهام) و (مدارك الأحكام) و (جواهر الكلام) و (هداية الأنام) و (مصباح الفقيه)، و (الفقه) وصنف بعض العلماء شرحاً لتردداته خاصة، وعليه من التعليقات والحواشي عدد كثير، وطبع طبعاات كثيرة في إيران ولبنان والنجف كما طبع في لندن أيضاً ولا يكاد يوجد واحد من العلماء أو طلبة العلوم الدينية ليس عنده منه نسخة، كما لهم شروح وتعليقات عليه، ونسخه المخطوطة النفيسة لا تحصى كثرة منها: نسخة النصف الأول منها بخط الشيخ محمد بن إسماعيل بن الحسين بن الحسن الهرقلي، فرغ منها يوم الخميس ١٥ شهر رمضان سنة ٦٧٠ ثم قرأها على المصنف بتمامها فكتب المصنف بخطه الشريف الإنهاء في أولها مع الإجازة لكاتب النسخة في النجف بتاريخ يوم الأربعاء المصادف ليوم الغدير ٦٧١، وفي مواضع منها إجازة من الشيخ علي بن الحسين بن عبد العال العاملي الشهير بالمحقق الكركي المتوفى ٩٤٠ وبتاريخ ٩٣٢ وعليها خط ابن فهد الحلي المتوفى ٨٤١، وخط شرف الدين البحراني اليزدي، وكانت هذه النسخة عند الشيخ النوري، وقد انتقلت منه إلى السيد مهدي الحيدري الكاظمي، ثم منه إلى الشيخ محمد السماوي في النجف، والنصف الثاني من الكتاب بخط هذا الناسخ الهرقلي، كتبه في يوم الأربعاء ١٩ ذي القعدة سنة ٧٠٣، وكانت عند السيد محمد بن السيد كاظم اليزدي، ثم انتقلت منه في سنة ١٣٤٥ إلى السيد أبي القاسم المحرر، ثم إلى السيد ضياء شكاره المحامي قائم مقام النجف. نسخة عليها خط المصنف في سنة ٦٧٤ وإجازة مفصلة منه بخطه وتوقيعه بتاريخ ٦٧٥، كانت عند الشيخ محمد سلطان المتكلمين في طهران، وهي اليوم في مكتبة مجد الدين النصيري. وقد اختصره المؤلف في كتاب (النافع) وشرح المختصر في كتاب (المعتبر).

٢- كتاب (قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام): وهو كتاب متين جامع يشتمل على جميع أبواب الفقه من كتاب الطهارة إلى كتاب الديات، وهو أشهر من أن يذكر وأهميته في صعيد الفقه صار المحور الذي تدور عليه رحي التحقيق والنظر في الحوزات العلمية، فقد تناوله الفقهاء قديماً وحديثاً بالشرح والتعليق حتى عد العلامة آغا بزرك الطهراني (رحمه الله) في (الذريعة) له ما يقرب من ثلاثين شرحاً وحاشية وتعليقاً، وقال عنه المحقق الثاني الشيخ الكركي (رحمه الله): إن كتاب (قواعد الأحكام) كتاب لم يسمح الدهر بمثاله ولم ينسج ناسج على

فجددا تبويب الفقه وترتيب الأحكام، حسب الظروف الملانمة لتلك العصور.
ثالثاً: في زمن صاحب الحقائق (رحمه الله) (١) ..

منواله قد احتوى من الفروع الفقهية على ما لا يوجد في مصنف ولم يتكفل ببيانه مؤلف، وقد لخص فيه فتاواه وبين قواعد الأحكام ألفه بالتماس ولده فخر المحققين وختمه بوصية غراء أوصى بها ولده المذكور، وقال العلامة آغا بزرك الطهراني في (الذريعة): وهو أجل ما كتب في الفقه الجعفري بعد كتاب الشرائع، فهو حاو لجميع أبواب الفقه، وقد أحصيت مسائله في ستمائة وستين ألف مسألة، وقد اعتمد عليه كافة المتأخرين، وعلفوا عليه الحواشي، وشرح شروحا كثيرة، منها: ١- إيضاح الفوائد في شرح القواعد للشيخ أبي طالب محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي. ٢- جامع المقاصد في شرح القواعد للمحقق الثاني الشيخ علي بن الحسين الكركي. ٣- كشف اللثام في شرح قواعد الأحكام لبهاء الدين محمد بن الحسن الأصفهاني المعروف بالفاضل الهندي. ٤- مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة للسيد محمد جواد الحسيني العاملي. وغيرها. من أهم نسخه الخطية: ١- نسخة في مكتبة السيد حسن الصدر بالكاظمية كتبها محمد بن إسماعيل الهرقلي في ١٤ من ربيع الأول سنة ٧٠٦ وقرأها على المصنف فكتب له الإنهاء والإجازة بخطه في ربيع الأول سنة ٧٠٧. ٢- نسخة في جامعة طهران رقم ١٢٧٣ كتبها علي بن محمد النيلي في ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ٧٠٩ ذكرت في فهرسها ٧ / ٢٧٦٩. ٣- نسخة في مكتبة مدينة العلم بالكاظمية رقم ١٢٠ كتبها محمد بن محسن الساروقي في سنة ٧١٣ ذكرت في فهرسها: ٨٩ و ٩٠. ٤- نسخة في مكتبة الفيضية رقم ٣٤ كتب الجزء الأول منها محمد بن بني نصر في ١٤ من محرم سنة ٧١٧ وكتب الجزء الثاني منها محمد بن محمد في ١١ من ربيع الثاني سنة ٧١٧ ذكرت في فهرسها ١ / ٢٠٥. ٥- نسخة في جامعة طهران رقم ١٥٠، كتبت في ١٢ / ٢ / ٨٢١ هـ. ٦- نسخة في جامعة طهران رقم ١٨٥٧، تاريخ كتابتها ربيع الثاني سنة ٨٢١ هـ. ٧- نسخة في جامعة طهران رقم ١٤٠٧، كتبت في سنة ٧٢٤ هـ. ٨- نسخة نفيسة جداً موجودة في جامع گوهر شاد رقم ٣٨٧، كتبت في القرن الثامن الهجري، وقوبلت على العلامة نفسه وعليها حواشي بخط الشهيد الأول وفخر المحققين.

١- الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور ابن أحمد بن عبد الحسين بن عطية بن شبيبة الدرازي البحراني. ولد بقرية (ماحوز) عام ١١٠٧ هـ حيث هاجر والده من موطنه (دراز) إليها لينهي دراسته العالية على الشيخ سليمان الماحوزي. اختص به جده لأبيه الحاج إبراهيم فاحضر له معلماً في البيت يعلمه القراءة والكتابة حتى أتقنتهما، فقام والده بتدريبه وتربيته وتصدى لتدريسه وتعليمه، وتولى ذلك بنفسه إلى أن تغمد الله برحمته.

بعد هجمات الخوارج على البحرين المتكررة ولما وقع من عظيم القتل والسلب والنهب وسفك الدماء وتلف الأموال اضطر وجهاء البلد وزعماءها إلى الجلاء عن أوطانهم فارين بعيالهم منجيين أنفسهم، ومنهم والده، فقد هاجر بعائلته إلى القطيف وخلفه في ذلك المأزق الحرج والموقف الرهيب، عساه يتحفظ ويسترجع بعضاً مما نهب من أثاث ومتاع، ولا سيما الكتب التي أخذت سلباً وذهبت نهباً، وبعد سنين قضاها لحق أباه بالقطيف فجدد به العهد.

توفي والده ضحوة اليوم الثاني والعشرين من شهر صفر سنة ١١٣١ وكان الشيخ يوسف له إذ ذاك من العمر أربع وعشرون سنة، فتكفل بعائلة والده على كثرتهم وبقي بالقطيف سنتين يقرأ فيهما على العلامة الشيخ

حسين الماحوزي.

عاد الشيخ إلى البحرين، بعد أن أخذت البحرين من الخوارج صلحاً بعد دفع مبلغ خطير، ولبت بها بضع سنين أنهى دراسته على شيوخه الحجتين الشيخ أحمد بن عبدالله والشيخ عبد الله بن علي البلاديين البحرانيين، وشاء الله له أن يحج البيت، وبعد رجوعه عرج على القطيف ومكث بها لقراءة الحديث على شيخه العلامة الماحوزي المتقدم، إلى أن زوده بالإجازة في الرواية عنه.

رجع إلى البحرين وقد ضاق به الحال، لما ارتكبه من الديون، وكثرة العيال وقلة اليسار ولحصول الاضطرابات والمشاغبات الداخلية في البحرين، فغادرها إلى إيران بعد مقتل الشاه سلطان حسين الصفوي، وحل برهة في كرمان، ثم ارتحل إلى شیراز واستقر مقيماً بها على عهد محمد تقي خان ثم غادرها بعد الحوادث التي ألمت بها إلى بعض القرى، فاستوطن قرية (فسا) وحاكمها آنذاك محمد علي.

صنف كتباً ورسائل وابتدأ هناك بتصنيف (الحدائق الناضرة) واستمر فيه إلى باب الأغسال، حتى ثار طاعية شیراز نعيم دان خان عام ١١٦٣ فقتل حاكمها محمد علي وهجم حتى على دار الشيخ وهو مريض، ونهبت أمواله وأكثر كتبه ومؤلفاته القيمة وكتب قصيدة يقول فيها: (واعظم حسرة أضنت فؤادي* تفرق ما بملكي من كتاب)

ففر منها مريضاً بعائلته صفر اليد حتى استقر بناحية (اصطهبانات) ولبت بها مدة.. لقد كان الشيخ دؤوباً في عمله بكل حول وطول وقوة، والسعي في مهمته بكل بهجة ونشاط، مهما بلغت به الحال في تلك الظروف القاسية والمواقف الحرجة، فقد ألف من بين تلك الظروف القاسية كتباً قيمة ناهزت الأربعين ومنذ حل اصطهبانات عزم على مغادرة بلاد إيران، وصمم على المقام بالعراق فألقى رحله في كربلاء المشرفة، موطنه الأخير ومستقره الأبدي ويظهر من تاريخ بعض مؤلفاته أنه حل بها قبل عام ١١٦٩، على عهد الوحيد البهبهاني (قدس سره).

وفي خلال مقامه بها زار النجف الأشرف والظاهر أنه ألف كتابه (الدرر النجفية) في النجف الأشرف خلال مكثه بها.

من تلامذته: ١- أبو علي الحائري محمد بن إسماعيل صاحب (منتهى المقال)، ٢- الميرزا أبو القاسم القمي صاحب (القوانين)، ٣- السيد أحمد العطار البغدادي المتوفى سنة ١٢١٥هـ، ٤- السيد أحمد الطالقاني النجفي المتوفى سنة ١٢٠٨هـ، ٥- الشيخ أحمد الحائري، ٦- الشيخ أحمد بن محمد، ابن أخيه، ٧- الأمير السيد عبد الباقي بن مير محمد حسين الخواتون آبادي سبط العلامة المجلسي، وغيرهم.

من مؤلفاته: ١- أجوبة الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني البحراني، ٢- أجوبة الشيخ أحمد بن يوسف بن علي بن مظفر السيوري البحراني، ٣- الأربعون حديثاً في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) استخرجها من كتب العامة، ٤- إعلام القاصدين إلى مناهج أصول الدين، خرج منه الباب الأول في التوحيد، ٥- الأنوار الحيرية والأقمار البدرية في جواب المسائل الأحمدية، تقرب من مائة مسألة، ٦- تدارك المدارك، فيما هو غافل عنه وتارك، ٧- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، وغيرها وهي كثيرة.

وفاته ومدفنه: توفي (رحمه الله) بعد الظهر من يوم السبت رابع ربيع الأول عام ١١٨٦، عن عمر ناهز الثمانين عاماً، كرسها في خدمة العلم والدين، فما إن صوت الناعي بفقده إلا وتهافت أهل كربلاء من كل صوب

ثم المستند (١) ..

والجواهر (٢) (قدس سرهما) ..

وحذب على تشييع جثمانه الطاهر، فكان يوماً مشهوداً وكان في مقدمة المشيعين الوحيد البهبهاني (قدس سره) وتولى تغسيله تلميذه التقيان: الحاج معصوم والشيخ محمد علي بن السلطان، وصلى عليه الأستاذ الوحيد بوصية منه (قدس سره) ودفن بالحائر الشريف بالرواق الحسيني الأطهر عند رجلي الشهداء، ودفن في جواره المحقق الوحيد المتوفى ١٢٠٨، وتلميذهما ابن أخت الوحيد السيد علي الطباطبائي (صاحب الرياض) المتوفى ١٢٣١ (قدس الله أسرارهم) وعلى مثوى هؤلاء الأعلام صندوق خشبي، كما أقيمت له الفواتح في كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، وأول من أقام له الفاتحة بها تلميذه الأكبر السيد الأجل بحر العلوم.

١- مستند الشيعة في أحكام الشريعة، للشيخ أحمد بن مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني. ولد في قرية نراق من قرى كاشان، في الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١١٨٥ هـ، أخذ مقدمات دروسه من النحو والصرف وغيرهما في بلده، ثم درس المنطق والرياضيات والفلك على أساتذة الفن حتى برع فيها وبلغ درجة عالية غبطه عليها زملاؤه. ثم قرأ الفقه والأصول والحكمة والكلام والفلسفة عند والده الشيخ مهدي النراقي. رحل إلى العراق سنة ١٢٠٥ هـ لغرض الزيارة ومواصلة الدراسة فحضر في النجف مجلس درس السيد محمد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء، ثم قصد كربلاء لغرض الاستفادة والاستزادة، فحضر دروس السيد علي الطباطبائي صاحب (الرياض) والسيد ميرزا محمد مهدي الشهرستاني، وقيل: إنه كان يحضر درس الوحيد البهبهاني برفقة والده. عاد إلى كاشان فانتهت إليه الرئاسة بعد وفاة والده سنة ١٢٠٩ هـ، وآلت إليه المرجعية، وكثر إقبال الناس عليه وصار من أجلة العلماء ومشاهير الفقهاء، فرحل إليه الشيخ الأنصاري للحضور عليه والإفادة منه. غادر بلده مرة أخرى قاصداً العراق، وذلك في سنة ١٢١١ هـ، لغرض الزيارة والاتصال بالشخصيات العلمية هناك. من تلامذته: ١- الشيخ الأنصاري، ٢- ابنه ملا محمد، ٣- ميرزا حبيب الله المعروف (ميرزا بابا) جد ملا حبيب الله لأمه صاحب (الباب الألقاب)، ٤- السيد محمد تقي البشت المشهدي، ٥- أخوه ميرزا أبو القاسم النراقي، ٦- ملا محمد حسن الجاسبي. من مؤلفاته: ١- مناهج الأحكام في أصول الفقه، ٢- مفتاح الأحكام في أصول الفقه، ٣- أساس الأحكام في تنقيح عمدة مسائل الأصول بالأحكام، ٤- وسيلة النجاة، ٥- سيف الأمة وبرهان الملة، ٦- عين الأصول، في أصول الفقه، ٧- مشكلات العلوم، ٨- الخزائن، ٩- شرح تجريد الأصول، وغيرها وهي كثيرة.

وفاته: توفي (رحمه الله) في نراق إحدى قرى كاشان أثر الوباء الذي اجتاحت تلك البلاد آنذاك، في ليلة الأحد الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر عام ١٢٤٥ هـ، وحمل (رحمه الله) إلى النجف الأشرف حيث دفن في الصحن العلوي بجانب والده في الإيوان جهة باب الطوسي من أبواب الحضرة الشريفة.

٢- جواهر الكلام للشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبد الرحيم بن آغا محمد الصغير بن عبد الرحيم الشريف الكبير.

ولادته: لم ينص المؤرخون لحياته على تأريخ ولادته، وقد استنتج الشيخ آغا بزرك الطهراني (رحمه الله) أن ولادته في حدود سنة ١٢٠٠ أو ١٢٠٢ من أمرين: ١- أن المسموع من الشيوخ أنه حين الشروع في تأليف الجواهر كان عمره خمسا وعشرين سنة. ٢- أنه ابتدأ في تأليفه في حياة أستاذه الشيخ كاشف الغطاء المتوفى

ثم الشيخ المرتضى (قدس سره) (١) ..

سنة ١٢٢٨.

وإذا طرحنا ٢٥ من ١٢٢٨ كان ما استنتجه الشيخ الطهراني على نحو التقريب. كما أن صاحب (الروضات) - وهو ممن عاصر الشيخ وحضر درسه - خمن عمره في سنة ١٢٦٢ بسن السبعين، فتكون - على هذا - حوالي سنة ١١٩٢. فلا يبعد حينئذ أنه أواخر أيام درس الوحيد البهبهاني، وعليه فالأقرب أن ولادته في حدود سنة ١١٩٢، ويساعد على ذلك الاعتبار، لاسيما - كما قيل - أنه ممن درس على السيد بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢ أو روى عنه.

نشأته: نشأ الشيخ في أسرته العلمية التي ورثت العلم أباً عن جد، فإن جده الأعلى عبد الرحيم المعروف بالشريف الكبير هو الذي هاجر إلى النجف لطلب العلم، وصار ممن يشار إليه بالفضيلة حتى توفي فيها أوائل القرن الثاني عشر. كما كان والده الشيخ باقر من فضلاء أهل العلم، كذلك فإن أخاه الذي يكبره سنّاً الشيخ محمد حسين كان من نوابغ طلاب العلم، وقد قتل في ريعان شبابه خطأ وهو في طريقه إلى مسجد السهلة، بطلقة نارياً طائشة من أحد طلاب العلم الذين كانوا يتدربون على الرمي بالبنادق في الصحراء خارج النجف - بأمر الشيخ كاشف الغطاء وتوجيهه - لغرض صد هجمات الوهابيين التي كانت مستمرة على النجف وكربلاء. ومن الغريب أن والدتهما العلوية - على ما هو المشهور عند الأسرة الجواهرية - أسفت أن يكون المقتول ولدها الأكبر محمد حسين ويبقى الأصغر على قيد الحياة الذي لم تكن تتوهم فيه النبوغ كالقتيل، والله في خلقه شؤون. ولكنها بقيت حية إلى العصر الذي تسنم فيه ولدها الصغير هذا دست الزعامة الكبرى حيث انقادت له الأمور وطبق صيته الخافقين.

وفاته: توفي (رحمه الله) سنة ١٢٦٦ وعين بعضهم أنها ظهر يوم الأربعاء غرة شعبان.

١- الشيخ مرتضى بن الشيخ محمد أمين بن الشيخ مرتضى بن الشيخ شمس الدين بن الشيخ محمد شريف بن الشيخ أحمد بن الشيخ جمال الدين بن الشيخ حسن بن الشيخ يوسف بن الشيخ عبيد الله بن الشيخ قطب الدين محمد بن زيد بن أبي طالب المعروف بجابر الصغير بن عبد الرزاق بن جميل بن جليل بن نذير بن جابر بن عبد الله الأنصاري. لقب بالأنصاري لانتهاء نسبه إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه).

ولد الشيخ الأنصاري يوم عيد الغدير سنة ١٢١٤ هـ، في مدينة دزفول.

أبوه: هو الشيخ محمد أمين كان من العلماء العاملين ومن وجهاء مدينة دزفول، وله ثلاث أولاد هم: الشيخ الأنصاري، والشيخ منصور، والشيخ محمد صادق، وكانت الفاصلة بين واحد وآخر عشر سنين، وكان الشيخ أكثر محبة وعطوفة عند والده من أخويه.

أمه: هي بنت الشيخ يعقوب بن الشيخ أحمد الأنصاري، وكانت من النساء الصالحات العابدات في زمانها، بحيث لم تترك نوافل الليل إلى آخر عمرها، وكان الشيخ يعتني بها كثيراً، فقد كان يذهب إليها بعد انتهائه من التدريس ويتحدث معها ويلطفها ويدخل السرور على قلبها، كما كان يهيئ لها كل ما تحتاجه حتى تسخين الماء في الشتاء لوضوئها، ولما فقدت بصرها كان يأخذها إلى مصلاها للعبادة ويهيئ لها مقدمات العبادة، إلى أن توفيت سنة ١٢٧٩ هـ في النجف الأشرف.

جده هو الشيخ مرتضى كان من العلماء الأتقياء، وكانت له في الفقه وغيره مؤلفات قيمة.

تزوج الشيخ الأنصاري ثلاث زوجات: الأولى بنت أساتذته الشيخ حسين الأنصاري، وكانت عالمة فاضلة متعبدة.

الثانية: بنت الميرزا مرتضى المطيعي الدزفولي. الثالثة: كانت من أهالي رشت أو أصفهان.

كان الشيخ كثير السفر للالتقاء بالعلماء والاستفادة منهم، فقد التقى بأكثر من خمسين مجتهداً وهذا مما لم يحصل لأحد من العلماء. فقد سافر من دزفول مع والده إلى العراق سنة ١٢٣٢ هـ لزيارة العتبات المقدسة، فبقي أربع سنوات في كربلاء المقدسة، ثم رجع إلى مدينته مع جمع من أهالي دزفول، وذلك بعد محاصرة والي بغداد لكربلاء المقدسة، ثم رجع إليها بعدما بقي ما يقارب السنة في دزفول. بقي هذه المرة في كربلاء سنة أو أكثر، ثم ذهب إلى النجف الأشرف. فمكث سنة أو أكثر ثم رجع مرة ثانية إلى دزفول. فبقي فيها إلى سنة ١٢٤٠ هـ، ومنها عزم على الذهاب إلى زيارة مرقد الإمام الرضا (عليه السلام)، وكان في صحبته أخوه الشيخ منصور. وفي أثناء سفره هذا عرج على بروجرد فبقي فيها شهراً، ثم ذهب منها إلى أصفهان. وبعد توقف الشيخ عدة أيام في أصفهان ذهب إلى كاشان، فتوقف في كاشان أربع سنوات، ثم ذهب منها إلى مشهد المقدسة. وبعد زيارته لمرقد الإمام (عليه السلام) رجع هو وأخوه إلى دزفول. وكان أهالي دزفول يتربصون مجيء الشيخ وينتظرونه، فلما سمعوا بقدومه خرجوا لاستقباله على بعد أربع فراسخ من مدينة دزفول، وحين وصل الشيخ استقبلهم برحابة صدر وحنان أبوي ودعا لهم. وبقي الشيخ في دزفول عدة سنوات، ثم ذهب إلى شوشتر ليسافر إلى النجف الأشرف، وكان ذلك سنة ١٢٤٩ هـ. ولما وصل إلى النجف لم يخرج منها إلا إلى الحج، وتوقف في طريقه إلى الحج في العنيزة مدة شهرين لأسباب أمنية، ثم واصل سفره وذهب إلى الحجاز، وبعد أداء الحج رجع إلى النجف حيث كان مثواه النهائي فيها.

قرأ الشيخ دروسه الأولى في دزفول على الشيخ حسين الدزفولي والسيد محمد المجاهد أحد رؤساء الحوزة العلمية في كربلاء، وشريف العلماء، وفي كاشان حضر درس الملا أحمد النراقي، وفي النجف الأشرف حضر درس المحقق الفقيه موسى كاشف الغطاء والشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ودرس الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، والشيخ علي كاشف الغطاء هو آخر أستاذ درس عنده الشيخ الأنصاري، ومن بعده لم يدرس على أحد، بل كانت له حوزة مستقلة عامرة يدرس فيها.

في سنة ١٢٦٦ هـ مرض صاحب الجواهر، فأمر بتشكيل مجلس يحوي جميع العلماء، فلما حضر جميع العلماء عنده، قال صاحب الجواهر: أين الشيخ مرتضى؟، ثم أمر بإحضاره، فلما بحثوا عنه وجدوه في حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) يدعو لصاحب الجواهر بالشفاء، وعند انتهائه من الدعاء حضر عند صاحب الجواهر، فأجلسه على فراشه وأخذ بيده ووضعها على قلبه، وقال: الآن طاب لي الموت، ثم قال للحاضرين: هذا مرجعكم من بعدي، ثم قال للشيخ: قلل من احتياطاتك، فإن الشريعة سمحة سهلة. وهذا العمل من صاحب الجواهر ليس إلا لتعريف شخصية الشيخ الأنصاري وأعلميته، فاستلم الشيخ الأنصاري زعامة الشيعة ومرجعيتها من سنة ١٢٦٦ إلى سنة ١٢٨١ هـ.

تلامذته: إن أكثر المجتهدين والعلماء المحققين في الفترة ما بين أواسط القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر هم من تلامذته، وهذه البرهة من الزمن هي وقت رواج العلم ووصوله إلى أوجه، فقد بلغ عدد تلاميذه البارزين المنات منهم: ١- السيد أحمد التفريشي، المتوفى في حدود سنة ١٣٠٩ هـ، ٢- الشيخ جعفر

في المكاسب (١) ..

حيث صب هؤلاء الفقه في قالب جديد يتناسب مع العصر الذي عاشوا فيه مع حفظ الجوهر ومن دون تغيير في الأحكام الشرعية.

والآن حيث جاء عصر جديد، ومتطلبات جديدة، وعلاقات حديثة، يحتاج الفقه إلى قالب آخر يناسب هذا العصر، وصياغة أخرى تناسب هذا الوقت، مع حفظ الجوهر وأصل الحكم وفي إطار الموازين الشرعية. ثم إن التطوير في المدارس العلمية الدينية، لا يختص بشأن تجديد ألبسة الفقه، وإنما يشمل التطوير

الشوشتري، المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ، ٣- السيد جعفر القزويني، المتوفى سنة ١٣١٦ هـ، ٤- الشيخ جعفر كاشف الغطاء، المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ، ٥- السيد جمال الدين أسد آبادي، المتوفى سنة ١٣١٤ هـ، ٦- الميرزا محمد حسن الشيرازي صاحب نهضة التبغ، وغيرهم.

من مؤلفاته: ١- رسالة في إجازة الشيخ الأنصاري، ٢- الاجتهاد والتقليد، ٣- إثبات التسامح في أدلة السنن، ٤- الإرث، ٥- أصول الفقه، ٦- الرسائل، ٧- المكاسب، وغيرها وقد بلغت الأربعين، كما استنسخ القرآن الكريم بخطه المبارك.

من زهده وتقواه: كان زاهداً تقياً اعترف بذلك حتى غير المسلمين، قال النائب السياسي البريطاني عندما رأى الشيخ في الصحراء قاصداً زيارة سلمان: أقسم بالله هو عيسى ابن مريم أو نانبه الخاص. وقال له بعض أصحابه: إنك مبالغ في إيصال الحقوق إلى أهلها، فأجابه: ليس لي بذلك فخر ولا كرامة، إذ من شأن كل عامي وسوقه أن يؤدي الأمانات إلى أهلها، وهذه حقوق الفقراء أمانة عندي.

كان الشيخ يذهب إلى أبواب بيوت الفقراء سرراً ويوصل إليهم ما يحتاجونه من دون أن يعرفهم نفسه، وعرفوه بعد ما فارقت روحه الطيبة الحياة. وكان كلما وصلت إليه هدايا ثمينة يعطيها لملا رحمة الله ليبيعهها، ثم يوزع الأموال على الفقراء.

وفاته ومدفنه: توفي الشيخ في النجف الأشرف بداره في محلة الحويش، بعد مضي ست ساعات من ليلة السبت الثامن عشر من جمادى الثانية سنة ١٢٨١ هـ وكان عمره آنذاك ٦٧ سنة، وغسل على ساحل بحر النجف غربي البلد، فقد نصبت له خيمة هناك، وهي أول خيمة نصبت في هذا الشأن، وغسله بحسب وصيته تلميذاه العالمان الحاج مولى علي محمد الخوني والآخوند المولى علي محمد الطالقاني.

ولما سمع الناس بوفاة الشيخ هاجوا بجميع طبقاتهم من كل جانب ومكان لتشيع جثمانه، حتى اتصل السواد من سور النجف إلى ساحل البحر، وصلى عليه بوصية منه الحاج السيد علي الشوشتري، ودفن في صحن أمير المؤمنين (عليه السلام) في الحجرة المتصلة بباب القبلة، وقبره معروف لحد الآن وعليه شباك.

١- المتاجر أو المكاسب للشيخ الأنصاري، يتضمن (المكاسب المحرمة والبيع والخيارات) كتاب جليل لم يكتب مثله في التحقيق والدقة في الفقه المعاملاتي، وقد عكف عليه عامة من تأخر عنه وعلقوا عليه الحواشي والتعليقات الكثيرة. إن عبارات المكاسب خالية من التعقيد اللفظي والتعبيري عادة، وقد اعتمد الشيخ على العرف والعرفيات في فهم كثير من موضوعات الأحكام والنصوص، وكتبيين المفاهيم الحقوقية، مثل الحكم والحق والمال والمالية ونحوها. طبع الكتاب في حال حياة الشيخ وبإشرافه على نفقة الحاج محمد باقر، وخرج من الطبع في مجلد ١ سنة ١٢٨٠.

المتقرب، جوانب أخرى من العلم الذي يحتاجه رجل الدين، من علوم الإسلام وعلوم الحياة المعاصرة، ومبادئ العلوم.

العلوم الإسلامية

فمثلاً، يحتاج طالب العلم الديني من العلوم الإسلامية إلى:

- ١: تفسير القرآن الحكيم، ونهج البلاغة، والصحيفة السجادية.
- ٢: علم الحديث (الأخبار الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وآله الأطهار (عليهم السلام)).
- ٣: علم أصول الدين، المعبر عنه بـ (علم الكلام).
- ٤: علم الأخلاق الإسلامية.
- ٥: علم الآداب الإسلامية.
- ٦: علم السيرة (تاريخ المعصومين بدءاً بالنبي (صلى الله عليه وآله) وانتهاءً بالإمام المهدي (عليه السلام)).

٧: علم التاريخ (تاريخ الإسلام، في فتوحاته وأنظمتها وحكامه والملل الداخلة فيه، وما إلى ذلك).

٨: علم كيفية تطبيق الإسلام على متطلبات العصر الحاضر.

٩: علم الإسلام المقارن أصولاً وفروعاً، مع العقائد والأفكار والأنظمة المعاصرة.

١٠: علم نظرة الإسلام الكونية.

العلوم المعاصرة

ومن علوم الحياة المعاصرة، يحتاج طالب العلم الديني إلى العلوم التالية:

١: التاريخ العام.

٢: علم الحساب والهندسة.

٣: علم الأحياء والطب.

٤: علم الحيوان والنبات.

٥: علم الجغرافيا.

٦: علم السياسية.

٧: علم الاقتصاد.

٨: علم الاجتماع.

٩: علم النفس.

١٠: علم الفلك.

كل ذلك بمقدار الاطلاع، لا بمقدار التعمق والتخصص، وذلك لكي يعرف الأحوال السائدة الآن في العالم.

مبادئ العلوم

ومن مبادئ العلوم، يحتاج طالب العلم الديني، إلى:

- ١: الصرف.
- ٢: النحو.
- ٣: اللغة.
- ٤: البيان.
- ٥: المنطق.
- ٦: البلاغة.
- ٧: أصول الفقه.
- ٨: الفلسفة والحكمة.
- ٩: الكتابة والتأليف.
- ١٠: الخطابة.

التقوى والنظم

ومن الواضح أن من الضروري أيضاً لزوم التركيز على التقوى والخشية من الله تعالى، وضرورة وجود النظام الصالح للدراسة، حتى لا يذهب وقت الطالب هدرًا.

كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) وصيته: «أوصيكما... بتقوى الله ونظم أمركم» (١).

ب: تطوير الإعلام الثقافي

تطوير وتوسيع مناهج التثقيف العام مما يعبر عنه بالتثقيف الإعلامي وغيره، وذلك عبر الأمور التالية:

المنبر الإسلامي

أولاً: تطوير المنابر الإسلامية، حتى تشتمل على بيان حقائق الإسلام في أسلوب عصري جذاب، وعلى بيان ما للإسلام من مزايا على سائر الأنظمة والقوانين والأفكار، وعلى الدعوة إلى تطبيق الإسلام في الحياة المعاصرة، وعلى الوعظ والترغيب والترهيب والتذكير بأيام الله تعالى، وعلى بيان مفاصل المدنية الغربية وما تشتمل عليها من الاستبداد والاستغلال والفساد والآثام.

الكتابة والتأليف

ثانياً: تحريض المؤلفين والكتّاب والمترجمين ومحرري المقالات، على الكتابة والتأليف والنشر والترجمة

١- نهج البلاغة، الرسائل: ٤٧ من وصية له (عليه السلام) للحسن والحسين (عليهما السلام) لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

بأكبر قدر ممكن، حول مختلف المواضيع الإسلامية، كالقانون الإسلامي، وأسلوب الحكم في الإسلام، والاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية الإسلامية، وكذلك السلام في الإسلام واللاعنف، والمرأة في الإسلام، وحقوق المالك والزراع والعامل في الإسلام، وهكذا حول مفسدات الآثام كالخمر والربا والزنا والخلاعة والسفور والقمار والعادة السرية والاختلاط وما أشبه.

الكتب التراثية

ثالثاً: طبع الكتب الإسلامية القديمة، بعد تطويرها، بجعل الفهارس الملائمة لها، وتبويب الكتب بأبواب تتناسب مع متطلبات العصر والثقافة الحاضرة، مثلاً، يجعل لكتاب (جواهر الكلام) فهرساً مفصلاً، تحت عناوين (الاقتصاد) و (السياسة) و (السلام) و (الأحوال الشخصية) فيتضمن العنوان الأول، كتاب التجارة والمزارعة والمساقات، وهكذا، والعنوان الثاني كتاب الجهاد، وبعض كتاب القضاء، وشيء من مباحث التقليد... وهكذا بالنسبة إلى سائر العناوين... مما يعبر عنه اليوم بالفهرسة الموضوعية، بالإضافة إلى جعل تعليقات للمسائل الغامضة، وشروح توضح مراد الآية أو الرواية، التي ابتعدت الأذهان الحاضرة عن تلك المصطلحات.

المقارنة بين الإسلام وسائر المبادئ

رابعاً: تأليف الكتب التي تقارن بين الإسلام أصولاً وفروعاً، وبين العقائد والأديان والمبادئ والأفكار والأنظمة والقوانين الأخرى، كل ذلك مشفوعاً بالأدلة، ومزوداً بالبراهين، ليظهر جمال الإسلام، وأنه كيف يسبب الرفاه والسعادة، ويعطي حوائج الروح والجسد، ويغذي العقل والعاطفة.

يقول الكاتب (برنارد شو)(١):

(إنني أكنّ كل تقدير لدين محمد (صلى الله عليه وآله) لحيويته العجيبة فهو الدين الوحيد الذي يبدو لي أن له طاقة هائلة لملائمة أوجه الحياة المتغيرة وصالح لكل العصور، لقد درست حياة هذا الرجل العجيب وفي رأيي أنه يجب أن يسمى منقذ البشرية).

ويقول (مايكل مارث)(٢) في كتابه (الخالدون مائة): (لقد اخترتُ محمداً في أول هذه القائمة.. ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك، ولكن محمد (صلى الله عليه وآله) هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي، فهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم

١- جورج برنارد شو (١٨٥٦-١٩٥٠م): كاتب روائي ومسرحي إيرلندي ولد في دبلن، يعد من أعظم الكتاب المسرحيين الإنجليز منذ القرن السابع عشر للميلاد، منح جائزة نوبل في الآداب لعام (١٩٢٥م)، من أشهر أعماله: (قيصر وكليوباترا) عام (١٨٩٨م) و (الإنسان والسوبرمان) عام (١٩٠٣م) و (منزل الحشرات) عام (١٩١٩م) و (جان دارك) عام (١٩٢٣م).

٢- أستاذ الرياضيات والفلك والفيزياء في الجامعات الأمريكية وخبير هيئة الفضاء الأمريكية.

الديانات وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً وبعد ١٣ قرناً من وفاته فإن أثر محمد (صلى الله عليه وآله)، ما زال قوياً متجدداً).

يقول لورد هدلي: (فكرت وابتهلت أربعين عاماً لكي أصل إلى الحقيقة ولا بد أن أعترف أن زيارتي للشرق المسلم ملأتني احتراماً للدين المحمدي السلس الذي يجعل المرء يعبد الله طوال مدة الحياة لا في أيام الأحد فقط، وإنني لأشكر الله أن هداني للإسلام الذي أصبح حقيقة راسخة في فوادي وجعلني ألتقي بسعادة وطمأنينة لم ألتق بهما من قبل لقد كنت في سرداب مظلم ثم أخرجني الإسلام إلى فسيح من الأرض تضيئه شمس النهار فأخذت استنشق هواء البحر النقي الخالص).

المجلات والجرائد

خامساً: إصدار المجلات والجرائد والمنشورات الدورية، التي تعنى بشؤون الإسلام المختلفة، واللازم أن تكون الجرائد وما إليها، متناسبة مع روح العصر والمجتمع، لا أن تكون جافة لا تهتم إلا بجانب واحد، فإن الكون كله ملك لله تعالى، فالمتكلم عن مختلف الشؤون الكونية والاجتماعية وما إليها، ينشر آثار عظمة الله عز وجل في مختلف الأبواب، وهذا خدمة للإسلام والمسلمين.

فلو كانت جريدة أو مجلة تضم باباً حول (الاقتصاد) وباباً حول (التربية) وباباً حول (الثروة) وباباً حول (المرأة) وباباً حول (العائلة) وباباً حول (العامل والفلاح) وباباً حول (بدائع الخلقة) وباباً حول (قوانين الإسلام) وباباً حول (التاريخ العام والخاص) وباباً حول (التحولات العالمية) وباباً حول (الصناعات والتقدم العلمي) وباباً حول (غزو الفضاء) وأبواب أخرى كثيرة، لكان في ذلك أكبر خدمة للمجتمع الإسلامي، فإن الإسلام لم يأت ليُجمد، بل لينطلق، وإن الإسلام تقدّم إلى أبعد حد، كما قال (عليه السلام): «من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون» (١).

وإن الإسلام جميل إلى أبعد حد «فإن الله جميل ويحب الجمال» (٢).

وهكذا الحال بالنسبة إلى الإذاعة والتلفزيون وما إلى ذلك واشتمالها على البرامج المتنوعة مع حفظ الموازين الشرعية.

تهذيب الإعلام وتطويره

سادساً: الاهتمام بتعديل المناهج الثقافية السارية في المجتمع، كتعديل منهج الإذاعة والتلفزيون، والمدارس والمجلات والجرائد، ودور النشر، والسينما والنوادي، وما إليها، وذلك:

١: إزالة المنكرات والعقائد المنحرفة والبرامج المسمومة منها.

٢: تزويدها بالعلوم الإسلامية والمعارف الدينية حسب المستطاع.

١- إرشاد القلوب: ج ١ ص ٧٢ ب ١٨ من وصية لقمان الحكيم لابنه.

٢- بحار الأنوار: ج ٦٢ ص ١٢٥ ب ١.

٣: رفع مستوياتها عن الإسفاف المشاهد اليوم في كل مناهج الثقافة في بلاد الإسلام، فمثلاً من اللازم أن تزود الإذاعة بالإضافة إلى مختلف برامجها المفيدة، بآبواب خاصة للأطباء، والقضاة، والمهندسين، والعمال، والفلاحين، والمرأة، والعوائل، والأطفال، والسوّاق، والصناع، ومن إليهم، وتشتمل على أركان لنشر علوم الفلك، والطبيعات، وبدائع الكون، و...

المؤسسات الثقافية

سابعاً: تأسيس المؤسسات الثقافية، أمثال:

فتح المدارس بقسميها:

١: مدارس العلوم الإسلامية.

٢: مدارس العلوم الحديثة.

وإنشاء (دور النشر).

وبناء (المكتبات العامة) للمطالعة واستعارة الكتب.

وفتح (المكتبات) لبيع الكتب.

وتأسيس (المكتبات السيّارة).

وإنشاء (النوادي الثقافية).

وتأسيس (اللجان الأدبية).

وتشكيل (المسابقات العلمية). وما أشبه ذلك.

المؤسسات والثقافة الدينية

ثامناً: تزويد سائر المؤسسات الاجتماعية وغيرها بالثقافة الإسلامية، مثلاً توزيع الكتب والنشرات الدورية على النوادي ومكاتب المحامين والأطباء والمستشفيات والمستوصفات والفنادق والمطارات والمحطات والمطاعم والمواصلات إلى غيرها.

الأشرطة الإسلامية

تاسعاً: تهينة أشرطة كاسيت وما أشبه المتضمنة للقصص الإسلامية، والتاريخ المفيد، والعبر والمواعظ، والتعاليم الدينية، والإرشادات العائلية، والهدايات القرآنية، وما إلى ذلك، ونشرها في المجتمع، بالبيع، والإعارة، والإهداء وما إلى ذلك.

اللوحات الدينية

عاشراً: تعميم اللوحات الإسلامية والإرشادية في المجتمع: على واجهات المنازل، وفي الشوارع، والواجهات، بل وحتى على الأواني، والمصنوعات، والمأكولات مع حفظ الموازين الشرعية، مثلاً تكتب على ورق الشكولاتة وما أشبه بعض الحكم الصغار مثل: (الشر قليله كثير). وتكتب آيات القرآن الحكيم، على ألواح زاهية بقصد تجميل البيوت والمحلات العامة والخاصة بها. وتنقش كلمات الحكمة الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعترته الطاهرة (عليهم الصلاة والسلام)، على (المزهريات) وما أشبه، مثل: «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة» (١) وغيرها. وأما (أواني الشاي) و (ظروف الطعام) فإذا كان مناسباً، مع حفظ الموازين اللازمة.

المكبرات الصوتية

حادي عشر: توزيع المكبرات في الشوارع والأسواق، لإلقاء التوجيهات الدينية منها إلى المجتمع، في كل يوم، مما يوجب رفع مستوى الثقافة الإسلامية، وإن أمكن جلب الإذاعات والتلفزيونات المحلية، فيها ونعمت. فرق الخدمة والتبليغ السيار

ثاني عشر: تكوين فرق لقصد اللقاءات والزيارات، لمختلف المؤسسات والقطاعات، بغرض التثقيف الإسلامي، كفرقة لزيارة المرضى في المستشفيات، وفرقة لإلقاء الإرشاد في المواصلات، وفرقة للتنطواف على الأرياف، لأجل الهداية والوعظ، وفرقة لأجل إقامة الاحتفالات والمآتم في المناسبات، وهكذا.

ج: تصدي رجال الدين

ملأ الفراغات الاجتماعية برجال الدين والإرشاد، مثل نصب وكلاء العلماء، في مختلف المدن والقرى والأرياف، وإرسال الخطباء إلى مختلف المناطق، خصوصاً في المناسبات، والتكثير من أهل العلم في المراكز التعليمية، بقصد التعليم والتربية، ليقوموا بدورهم المطلوب في الذهاب إلى مختلف المدن، كما قال تعالى: ((وما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)) (٢).

١- بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٦٨ ب ٤٥ ضمن ح ١٤ المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله).

٢- سورة التوبة: ١٢٢.

د: الندوات المفتوحة

فتح ندوات مفتوحة، للإجابة على أسئلة الجماهير الدينية والشرعية، مضافاً إلى أرقام هاتفية خاصة مستعدة لجواب من له سؤال عبر الاتصال المباشر.

٢

تصنيع البلاد الإسلامية

الأمر الثاني - الذي يلزم على تلك الجماعة (النواة) التي تريد الوصول إلى حكم الإسلام وتنفيذ قوانينه في البلاد -: أن تهتم بالتصنيع وإنتاج جميع ما تحتاجه البلاد الإسلامية في البلاد الإسلامية نفسها، حتى تصل إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي وعدم الحاجة إلى المستعمر، ويتحقق ذلك عبر جلب المصانع والمعامل، وتشجيع الناس على الانخراط في قطاع الصناعة والتصنيع، والتشجيع على الاختراع والاكتشاف.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أمنن على من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عن من شئت تكن نظيره» (١).

وفي حديث آخر قال (عليه السلام): «احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عن من شئت تكن نظيره، وأفضل على من شئت تكن أميره» (٢).

ومن هنا أباح الإسلام الاستفادة من المباحات من الأراضي وغيرها، وحث على العمل والكسب الحلال، فإنها من مقومات مكافحة الفقر وإثراء البلاد.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إنَّ محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى أنَّ علي بن الحسين (عليه السلام) يدع خلفاً أفضل منه حتَّى رأيت ابنه محمد بن علي (عليه السلام) فأردت أن أعظه فوعظني فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟

قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني أبو جعفر محمد بن علي (عليه السلام) وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متكئ على غلامين أسودين أو موليين، فقلت في نفسي: سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا؟! أما لأعظته، فدنوت منه فسلمت عليه، فردَّ علي السلام بنهر وهو يتصاب عرقاً.

فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا؟ أرايت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع؟

فقال: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله عز وجل أكفَّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس وإبما كنت أخاف أن لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله.

١- الخصال: ج ٢ ص ٤٢٠ باب التسعة ح ١٤.

٢- الإرشاد: ج ١ ص ٣٠٣ ومن كلامه في وصف الإنسان.

فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني» (١).

وعن داود بن سرحان قال: رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) يكيل تمرًا بيده، فقلت: جعلت فداك لو أمرت بعض ولدك أو بعض مواليك فيكفئك، فقال: «يا داود إنّه لا يصلح المرء المسلم إلا ثلاثة التفقه في الدين والصبر على النانبة وحسن التقدير في المعيشة» (٢).

وعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: «الذي يطلب من فضل الله ما يكفّ به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله عز وجل» (٣).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إذا أعسر أحدكم فليضرب الأرض ويبتغي من فضل الله، ولا يغم نفسه» (٤).

وعن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه قال: رأيت أبا الحسن (عليه السلام) يعمل في أرض له قد استنقعت قدماء في العرق فقلت له: جعلت فداك أين الرجال؟ فقال: «يا علي عمل باليد من هو خير مني ومن أبي في أرضه».

فقلت له: من هو؟ فقال: «رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وآبائي (عليهم السلام) كلّهم قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والصالحين» (٥).

٣

خدمة الناس

الأمر الثالث للوصول إلى حكم الإسلام: إسعاف الناس، وذلك بتشكيل الهيئات الخيرية لأجل تزويج العزاب، ومعونة البانسين، وإسعاف المرضى، والإنفاق على المحتاجين، وتأسيس المؤسسات الاجتماعية، والصحية، والمالية، وما أشبه: كالنواذير الخيرية، والمستشفيات، والمستوصفات، والمصارف اللاربوية، والمدارس الصناعية، وهيئات العمران والزراعة، والتشجيع عليهما.

فإن الناس إنما تركوا قوانين الإسلام، لأنهم زعموا بأنه لا يلبي حاجاتهم، فإذا رأوا الإسلام يلبي الحاجات، ويحفظ كرامة الإنسان وإنسانيته، تركوا المناهج المستوردة التي إن لبث بعض الحاجات - فرضاً - كان ذلك

١- الكافي: ج ٥ ص ٧٣ - ٧٤ باب ما يجب من الاقتداء بالأئمة (عليهم السلام) في التعرض للرزق ح ١.

٢- الكافي: ج ٥ ص ٨٧ باب إصلاح المال وتقدير المعيشة ح ٤.

٣- وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٦٧ ب ٢٣ ح ٢٢٠٠٢.

٤- مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٧ ب ١ ح ١٤٥٦٦.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٦٢ باب المعاش والمكاسب والفوائد والصناعات ح ٣٥٩٣.

مشوباً بالردائل، فمثلاً (المصرف) يعطي القرض للمحتاج، ولكن يشوبه بأخذ الفائدة، فإذا رأى المجتمع مصرفاً، يعطي قرضاً بلا فائدة، التفوا حوله من تلقاء أنفسهم، واغلق باب المصرف الربوي.

وكذلك المستشفى تعطي الدواء للمريض، ولكن تخلط ذلك عادة بالقساوة وبلادة الروتين، بالإضافة إلى أنه لا يملأ فراغ روح المريض التائق إلى الحنان والعطف، فإذا فتح المستشفى الذي يكون خالياً من تلك المنقصة، المزود بملأ الروح بالحنان والعطف - كما هو المعروف عن منهاج الإسلام حول المريض - رأى الناس في هذا النوع من المستشفى ضالتهم المنشود فأقبلوا عليه، وهكذا.

قال تعالى في الحث على الخير: ((وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)) (١).

وقال سبحانه: ((فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً)) (٢).

وقال تعالى: ((وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ)) (٣).

وقال سبحانه: ((أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)) (٤).

وقال تعالى: ((افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (٥).

وقال سبحانه: ((فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ)) (٦).

وقال تعالى: ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)) (٧).

وقال سبحانه: ((وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً)) (٨).

وقال تعالى: ((وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً)) (٩).

وقال سبحانه: ((فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)) (١٠).

قضاء حوائج الناس

عن أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا محمد (عليه السلام) يقول: «إن في الجنة لباباً يقال له المعروف، لا

١- سورة آل عمران: ١١٤

٢- سورة المائدة: ٤٨

٣- سورة الأنبياء: ٧٣

٤- سورة المؤمنون: ٦١

٥- سورة الحج: ٧٧

٦- سورة الحج: ٢٨

٧- سورة النساء: ٣٦

٨- سورة النساء: ١٢٧

٩- سورة الإنسان: ٨

١٠- سورة الكهف: ١١٠

يدخله إلا أهل المعروف»، فحمدت الله في نفسي وفرحت بما أتكلفه من حوائج الناس، فنظر إليّ أبو محمد (عليه السلام) وقال: «نعم، قدم على ما أنت عليه، فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة جعلك الله منهم يا أبا هاشم ورحمك» (١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام الله فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء» (٢).

وعن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: «إن الله عبادة في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سرورا فرّح الله قلبه يوم القيامة» (٣).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «أيا ما وال احتجب عن حوائج الناس احتجب الله عنه يوم القيامة وعن حوائجه» (٤).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن عابد بني إسرائيل الذي كان أعبدهم كان يسعى في حوائج الناس عند الملك» (٥).

وعن الإمام الحسين (عليه السلام) أنه قال: «اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتتحول إلى غيركم» (٦).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «سيد القوم خادمهم» (٧).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «خير الناس أنفعهم للناس» (٨).

٤

التنظيم

الأمر الرابع في طرق الوصول إلى حكم الإسلام وتنفيذ قوانينه في البلاد: التنظيم.

فقد قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته: «الله الله في نظم أمركم» (٩).

١- بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٤١٤ ب ٣٠ ح ٣٢.

٢- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٧٢.

٣- الكافي: ج ٢ ص ١٩٧ باب السعي في حاجة المؤمن ح ٢.

٤- وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٩٤ ب ٥ ح ٢٢٠٦٦.

٥- مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ١٤٧ ب ٩٣ ح ١٣٧٤٦.

٦- أعلام الدين: ص ٢٩٨ من كلام الحسين (عليه السلام).

٧- من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٧٨ ومن ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الموجزة التي لم يسبق إليها ح ٥٧٩١.

٨- مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٣٩١ ب ٢٢ ح ١٤٣٨٢.

٩- راجع نهج البلاغة، الرسائل: ٤٧ من وصية له (عليه السلام) للحسن والحسين (عليهما السلام) لما ضربه

فإن النواة العاملة لأجل إعادة الإسلام إلى الحياة، يجب أن تكون على قدر كبير من الوعي التنظيمي، وعلى قدر كبير من التنظيم العملي، وذلك بقصد تنظيم المسلمين في هيئات وما أشبه، لأجل تشغيل الكوادر المعطلة وتركيز العاملة منها، فإن (العرف الخاص) يسيطر على سلوك الإنسان وأفكاره، ويوجد فيه طاقات حركية، بالإضافة إلى أنه يسبب عدم تسيب الطاقات الموجودة، والوقوف دون أن تهدر بلا فائدة.

فالنواة العاملة إذا خصصت جماعة (للتثقيف) وجماعة (للتصنيع) وجماعة (للمال) وجماعة (للتعديل المنحرف من المناهج) وجماعة (لجلب الشباب وتكوين الهيئات منهم) وجماعة... وهكذا، ربما يتمكن من نشر الإسلام وبث الوعي في مدة قليلة جداً.

كما يلزم على النواة العاملة، أن تنظم أوقات نفسها، بالنسبة إلى الأعمال التي تريد أن تقوم بها، فيجعل الفرد العامل لنفسه خطة سنوية وشهرية وأسبوعية، فمثلاً: يقرر في الخطة أن يهدي عشرة إلى الصلاة، وخمسة إلى الزواج، ويجلب ثلاثة شباب إلى حظيرة الإسلام، ويرشد عشرين إلى تحسين أخلاقهم، ويبين للناس ضرورة قيام حكم الإسلام، وهكذا...

فإنه ما نوى امرئ شيئاً إلا وصل إليه أو قريباً منه.

فإن التنظيم والتركيز يوجبان الوصول، ومثالهما مثال المجر، الذي ينظم أشعة الشمس ويركزها، فيوجب احتراق الجسم الملامس له، بينما صحراء من الأشعة المبعثرة لا يأتي منها هذا المفعول.

٥

تهيئة الأجواء

الأمر الخامس الذي يلزم على تلك الجماعة (النواة) الاهتمام بها للوصول إلى حكم الإسلام وتنفيذ قوانينه في البلاد: الأجواء الملائمة.

والمراد بها تنسيق الجو العام وتهيئته لإمكان نمو الحكم الإسلامي وتقبله، فإنه إذا لم يكن الجو العام ملائماً، لم ينم الحكم الإسلامي، ولو فرض أنه نَمى - بقدر - لا يمتد زمان إلا ذبل ومات، فإن كل شيء في الحياة لابد له من الجو الملائم، إذا أراد البقاء والازدهار.

أرأيت هل يجري الماء على سطح الأرض، بدون نهر أو جدول أو ساقية؟

أو هل ينمو النبات في أرض سبخة أو غير صالحة.

أو هل تزدهر المدينة، في مكان خال عن الأيدي العاملة والعقول المفكرة ومؤهلات العيش الرغيد؟.

والجو عبارة عما يكتنف بالإنسان، في مختلف مجالات حركته وتقبله، كالبيت، والمدرسة، والمعمل، والمقهى، والنادي، والأصدقاء، والجريدة، والكتاب، والمجتمع، والجيران، وما إلى ذلك فإنها بمجموعها تولد الجو العام الذي يوجه الإنسان إلى هذا الجانب أو ذاك الجانب، توجيهاً تلقائياً، شاء أم أبى عادة.

ولذا من الضروري على النواة العاملة، أن تهتم بتهيئة الجو العام، وبناء المظاهر، والتنسيق بينها وبين

ابن ملجم (لعنه الله)، وفيه: (أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي «بتقوى الله ونظم أمركم»).

حكم الإسلام، وذلك يبتدئ من الصغريات الفردية، إلى الكبريات الاجتماعية، فمثلاً: الاهتمام بطرح فكرة قيام الحكم الإسلامي وضرورته في كل المجالات التي مر ذكرها، مضافاً إلى تهينة الأسباب المساعدة لذلك، كالتي تحل مشاكل المجتمع، فإن المجتمع الغارق في المشاكل لا يمكنه التصدي للأهداف العالية، فيلزم تزويج الشاب أو الشابة، مما يهيئ الجو العام، فإن الشاب إذا لم يتزوج، لابد وأن يكبت نفسه، وذلك يوجب المرض له، أو أن يطلق عنانه، وذلك يوجب بالإضافة إلى الأمراض الجنسية كالزهري وشبهه، الفساد الاجتماعي، والانحطاط الخلقي.

وكذلك الاهتمام بمعونة الفقير، وتعليم الطالب، ونظافة المدينة، أو ما أشبه، مما يساعد على تهينة الجو العام.

فالأول: يوجب تقليل حدة التوتر الطبقي، بالإضافة إلى إشعار الفرد بالكرامة الإنسانية، وتلطيف المشاعر. والثاني: يوجب بناء الفرد وتوجيهه نحو الصلاح والتنظيف، تطبيقاً لقوله (صلى الله عليه وآله): «النظافة من الإيمان» (١).

وكذلك الاهتمام بأهم الأمور أعني تثقيف البلاد وتصنيعها وتنظيم الأعمال والأفراد - على ما تقدم قسط من الكلام حولها -.

٦

التنسيق

الأمر السادس في طرق الوصول إلى الحكم الإسلامي: التنسيق. وهو عبارة عن ملاحظة ترابط الأشياء بعضها ببعض، لا كل واحد مجرداً عن الآخر، وهو إصلاح الشيء لا في إطاره الخاص فحسب، بل بالإضافة إلى ذلك تلاحظ النسبة بين هذا وذاك، وبين هذين وثالث، وهكذا. فمثل النظام والدستور الصحيح الذي ينبغي العمل به في الحكم الإسلامي مثل (المدينة) التي تحتاج إلى (الدور، والمدارس، والمستوصفات، والمستشفيات، ومراكز الصحة، ودائرة البرق والبريد، والمواصلات، وما أشبه) فاللزم ملاحظة النسبة بين هذه الأمور، فمثلاً كل ألف دار تحتاج إلى مستوصف واحد، ومدرستين، وعشرين من السيارات العامة، إلى غيرها.

وهكذا تكون النواة العاملة وتؤسس حسب النسب المناسبة هينات وما تحتاجها وتنسق فيما بينها، فإذا أسست هيئة مكونة من خمسة من الكوادر لأجل تزكية أنفسهم أولاً والعمل بالإسلام ثانياً وإرشاد الناس ثالثاً، فهذه الخمسة تحتاج إلى (مرشد) لهم، و (مكتبة) تعطي القدر الكافي من حاجاتهم الثقافية، و (قدر من المال) و (آليات التبليغ) وما أشبه، ثم التنسيق بين هذه الوحدات المختلفة.

كما يلزم تزويدهم بمعلومات لأجل هداية كل واحد منهم صديقاً له، ومعلومات لأجل سلوكهم العام، وسلوكهم

١- مستدرك الوسائل: ج ١٦ ص ٣١٩ ب ٩٢ ح ٩.

الخاص، ليكونوا دعاة بألسنتهم وبغير ألسنتهم(١)، وهكذا.

هل تطبيق الإسلام صعب؟

وهنا سؤال يفرض نفسه، فإن الوصول إلى حكم الإسلام والعمل به صعب جداً، لأنه من قبيل تسلق الجبال الوعرة، إذ هو صد لتيار الشهوات في داخل الإنسان وخارجه، وعلى عكس ذلك العمل على خلاف الإسلام، فهو هين يسير، ولذا نرى التيار المعاكس للإسلام يمشي بسرعة مذهلة، بينما التيار الإسلامي - في يومنا هذا - في حالة ركود، وإذا قدر له المشي في بعض الأحيان، فمشيه بطيء جداً، فما هو علاج هذا الأمر؟

وكيف يمكن السير حتى يتعادل التياران؟

وهل بالإمكان أن نجعل التيار الإسلامي أسرع وأقوى؟

أو هل يعقل أن يأتي يوم يقف التيار المعاكس للإسلامي، ليعطي المجال للتيار الإسلامي فحسب؟.

لا بد أن نقول في الجواب: إن التيار الإسلامي، كان هو السائد في البلاد الإسلامية وحده، منذ إقامة حكم الإسلام على أيدي الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في المدينة المنورة، إلى ما قبل قرن تقريباً، والانحراف الذي كان عند الحكام، إنما كان انحرافاً خاصاً بهم، أما الأمة فكانت - عادة - تتبنى الإسلام ديناً وعقيدةً ونظاماً، والتيار المعاكس إنما حدث حين جمد حكام المسلمين وجمدوا الأمة، ونشط الكفار في مختلف شعب الحياة وأخذوا بمحاربة الإسلام والمسلمين بمختلف السبل الثقافية والعسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، فصار في البلاد الإسلامية تياران، ثم لم يزل تيار الكفر يقوى وتيار الإسلام يضعف، لضعف الحكام واتباعهم للمستعمرين، حتى وصلت الحالة، إلى ما نشاهده الآن.

وحيث إن الدنيا دول، لا بد وأن يبتدأ تيار الإسلام في الظهور مرة أخرى، ويتقدم ويقوى إلى أن يعادل التيار الكافر، ثم يزداد التيار الإسلامي قوة شيئاً فشيئاً، حتى يرجع الأمر إلى ما كان من أخذ تيار الإسلام بالزمام وحده بلا منازع، كما ورد في الحديث الشريف: «الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه»(٢).

قال تعالى: ((إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَلَتَكُنَّ الْآيَاتُ نُدَاجِلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَخْذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)) (٣).

وإن الذي ذكرناه من حتمية ظهور التيار الإسلامي من جديد، ثم قوته يوماً بعد يوم، ثم تفرد به بالأمر، مما دل عليه المنطق والتجربة، فالإسلام بذاته قوي جداً، فإن ضعف يوماً ما، فالضعف طارئ ولا بد للضعف الطارئ أن يزول، وقد دلت التجارب التي مرت ببلاد الإسلام منذ بزوغه إلى هذا اليوم، من قضايا المغول(٤) ..

١- أي بأعمالهم، وهذا إشارة إلى الحديث الشريف: «كونوا دعاة للناس إلى الخير بغير ألسنتكم». مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٥٦ ب ٩١ ح ١١.

٢- وسائل الشيعة: ج ٢٦ ص ١٤ ب ١ ح ٣٢٣٨٣.

٣- سورة آل عمران: ١٤٠.

٤- المغول: دولة في آسيا الوسطى أسسها جنكيزخان ووزعها بين أبنائه، أنشأ المغول في ظل جنكيزخان وخلفائه إمبراطورية امتدت من الصين شرقاً إلى نهر الدانوب في أوروبا الوسطى والشرقية. اجتاحتها في ظل تيمورلنك كامل المنطقة الممتدة من منغوليا إلى البحر الأبيض المتوسط. حاصر هولاكو وجنوده بغداد سنة ٦٥٦ هـ، وبعد أن فتحوها نهبوا وسبوا وعلبوا وعاثوا في الأرض فساداً واستمر القتل والنهب والسبي في بغداد

والقراطة (١) ..

والصليبيين (٢) وما أشبهه..

أن الإسلام إن أخلى الميدان لحريقه مدة، لضعف في حملته، فلا تنقضي أيام إلا ويعود الكرة، ليأخذ المجال لنفسه، وهنالك يكون الدين لله وحده، وهكذا يكون الحال هذه المرة أيضاً، بإذن الله تعالى.

هذا من ناحية أصل التيار الإسلامي وقوته الذاتية، وما نراه اليوم من الضعف فهو عائد للمسلمين وقوة خصومهم.

وأما من ناحية أن العمل بالإسلام صعب لأنه ينافي الشهوات، ولذا يكون من الصعب توجيه الناس إلى الإسلام وحكمه، أما توجيه الناس إلى سائر المبادئ والأنظمة فهو سهل، حيث لا تنافي تلك المبادئ الشهوات والميول، فالذي أرى: أن هذه الشبهة مما أثارها أعداء الإسلام كذباً وزوراً، وتلقفته الألسنة والأقلام الجاهلة، فأخذت ترددها ترديد الببغاء، وإلا فالأمر بالعكس تماماً، فإن الإسلام لا يحارب الشهوات والملذات الفطرية،

أربعين يوماً وألقوا الكتب في نهر دجلة حتى صار لون الماء أسود من المداد وأحرقت كتب أخرى كثيرة حتى صار ليل بغداد نهاراً من شدة اللهب وقد قتل من العلماء والفضلاء جمع غفير لا يحصون عدداً يزيدون على ثمانمائة ألف واستولى هولاء الطاغية على بغداد وقتل المعتصم.

١- حركة دينية سياسية منقرضة، ظهرت في العراق نحو (٨٧١/٥٢٥٨م) وانتشرت لاسيما في البحرين واليمن واستولى أصحابها على مكة (٩٣٠/٥٣١٧م) وقتلوا الكثير من الحجاج ونقلوا منها الحجر الأسود ثم ردّوه بعد اثنتين وعشرين سنة. قضى عليهم الأمراء العيونيون في البحرين سنة (١٠٢٧م) فانقرضوا وانتهى أمرهم.

٢- حملات عسكرية قام بها مسيحيو الغرب في القرون الوسطى للاستيلاء على الأراضي المقدسة (١٠٩٦-١٢٩١م). دعيت بهذا الإسلام لأن المشاركين فيها وضعوا شارة الصليب على ملابسهم وأسلحتهم. تقسم إلى ثمان حملات سبقتها حملة شعبية انتهت بانتصار المسلمين واندحار المسيحيين وانسحابهم من جميع الأراضي التي احتلوها. ويجمع المؤرخون على أن الأوروبيين تأثروا خلال الحروب الصليبية بمختلف وجوه الحضارة الإسلامية، وأن هذا التأثير كان من أهم العوامل التي مهدت السبيل لبزوغ عصر النهضة الأوروبية.

وقد خربوا الديار وانتهكوا الأعراض وسفكوا فيها من دماء الأبرياء ما لا يحصى وذلك بفتوى من بابائهم، أمثال البابا سلفستر الثاني في (١٠٠٢م) والبابا غريغورس السابع، والبابا أوربان الثاني في (١٠٩٥م) والبابا ابنوسان الثالث في عام (١٢٠٢) وغيرهم. كما قام الصليبيون الحاقدون بارتكاب جريمة نكراء ضد التراث العلمي للبشرية، حيث يذكر موندي في تاريخه: أن ما أحرقه الأسبان من كتب قرطبة قد بلغ مليوناً وخمسين ألف مجلد، عدا عما أتلّفوه مما عثروا عليه في أقاليم الأندلس. أما ولس، فيرى: أنهم قد أحرقوا مليون وخمسة آلاف مجلد فقط. وفي (وفيات الأسلاف): أن أسقف طليطلة قد أحرق من الكتب الإسلامية ما ينوف على ثمانين ألف كتاب. وأن الإفرنج لما تغلبوا على غرناطة قد أحرقوا من الكتب النفيسة ما يتجاوز مليون كتاب. وقال بعض المؤرخين المصريين: إن الباقي من الكتب التي ألّفها المسلمون ليس إلا نقطة من بحر مما أحرقه الصليبيون، والتتر، والأسبان. ولما فتح الإفرنج طرابلس في أثناء الحروب الصليبية أحرقوا مكتبتها بأمر الكونت برترام سنت جيل، ويقال: إنها كانت تحتوي على ثلاثة ملايين مجلد. وأضاف جرجي زيدان: وفعل الأسبان نحو ذلك بمكتبات الأندلس لما استخرجوها من أيدي المسلمين في أواخر القرن الخامس عشر.

وإنما يجعلها في إطار نظيف يضمن فيه حقوق الفرد والآخرين، ولكن غير الإسلام يحارب الشهوات والملذات الإنسانية، فيمنع قسماً من الملذات المشروعة ويبيح شيئاً من الشهوات الحيوانية بإطلاقها من دون مراعاة للموازن الإنسانية ولحقوق الآخرين، بما تعود بالأضرار الجسيمة والأمراض الخطيرة على الفرد والمجتمع.

ثم إن الواجبات والمحرمات في الإسلام قليلة جداً بالنسبة إلى كثرة المباحات والحريات.

فالإسلام يحارب الزنا وما إليه، والخمر والقمار والسفور، وأكل مثل لحم الخنزير وبضع أشياء آخر، ثم ماذا؟ والإسلام يوجب الصلاة والصيام، وإعطاء قسم من المال، ويلزم أموراً أخرى، ثم ماذا؟.

فهل هذا المقدار من الإلزاميات التي كلها بصالح الفرد، يستحق كل هذا التهريج والإثارة حول الإسلام، والقول بأنه يقف أمام الملذات والشهوات، وأن غيره يطلق العنان لما يريده الإنسان؟.

والواقع هو عكس ذلك تماماً، فإن الحريات الإسلامية لا يوجد مثلها في أي مبدأ وقانون في العالم، وما نراه اليوم في مختلف البلاد من كثرة القوانين الكابتة وتقييد حريات الإنسان في جميع مجالات الحياة هو الذي يصعب العمل والالتزام به، وهو الذي يمنع الإنسان عن ملذاته وشهواته المشروعة.

هذا مضافاً إلى أن الإسلام قد حرم ما حرم أو أوجب ما أوجب رعاية لمصلحة الفرد والمجتمع وضماناً لملذاته وشهواته المشروعة، وحفظاً لسعادة دنياه وآخرته.

واليك بعض الأمثلة:

فقد قرر الإسلام حرمة الزنا وما إليه، وأباح النكاح بشروط سهلة.. فلم يجعل الإسلام مانعاً أمام الشهوات الجنسية النظيفة.

وأما الخمر والقمار وما أشبه، فإنها مضران بالبدن والمال، فهل هذا المنع عن المضرات يُعدّ كبتاً وإرهاقاً؟ ألا يقف العقلاء اليوم أمام خطر المخدرات ونحوها؟.

وأما السفور، فإنه حُرّم لمصلحة حفظ كيان الأسرة والمجتمع واستقرار العائلة وسلامة المرأة وصون شرفها، فهو قانون حماية المجتمع ورعاية حق الأزواج والآباء والأقرباء والنساء بالذات، فهو مثل تحريم السرقة، من أجل مصلحة أصحاب الأموال، فهل يُعدّ مثل ذلك كبتاً لحرية اللصوص؟.

وأما لحم الخنزير وما إليه، فإنه محرم لمضارها البالغة، وهناك أنواع من اللحوم لا يحتاج الإنسان مع وجودها إلى تناول لحم الخنزير أو محرّم آخر من هذا القبيل.

ثم إن الصلوات المكتوبة لا تقيد الإنسان إلا بمقدار سبع عشرة دقيقة كل يوم، وفيها وفي الصيام فوائد لا تحصى مادية ومعنوية... وأما الخمس والزكاة فهي ضريبة قليلة جداً، وهل تترك دولة فرض الضرائب؟ وضرائب الدول أثقل بكثير مما فرضه الإسلام من المال القليل.

ثم ماذا في غير الإسلام؟ غير الحد من الحريات، فترى:

كبت حرية التجارة.

كبت حرية الصناعة.

كبت حرية الزراعة.

كبت حرية الثقافة.

كبت حرية السفر.

كبت حرية العمارة.

كبت حرية الإقامة.

كبت حرية العمل.

كبت حرية الناس وتسلطهم على أموالهم.

كبت حرية الناس وتسلطهم على أنفسهم.

كبت حرية الناس على ذويهم ممن لهم الولاية عليهم.

كبت انتفاع الإنسان بالموارد الطبيعية.

ثم كثرة بناء السجون والمعتقلات (١).

وتفشي الأمراض والمرض (٢).

١- قالت إحصائية رسمية صدرت في موسكو: إن عدد السجناء في روسيا عام ١٩٩٧م بلغ نحو ٧٤٠ ألف سجين، وفي بريطانيا سجلت الأرقام في نفس العام ارتفاعاً في عدد السجناء بنحو ٥٠% عن السنوات الأربع الماضية، وبلغ عدد السجناء بنحو ٦٣ ألف سجين.

وكشف تقرير صادر عن وزارة العدل الأمريكية: أن السجن الأسود يقضي فترة أطول من السجن الأبيض الذي أدين بنفس التهمة، وذكر التقرير أن الأسود الذي يدان بتهمة الاغتصاب يقضي ٧٠ شهراً سجنًا، في حين أن المعتصب الأبيض يقضي في السجن ٥٦ شهراً، وكشف التقرير عن وجود مليونين وثمانمائة ألف سجين في كل الولايات الأمريكية بارتفاع نسبته ٧% في كل عام.

ونشرت مجلة (تايم) الأميركية تقريراً مفصلاً عن التطور الحاصل في أساليب التعذيب بالكهرباء، ذكرت فيه إن القائمين على الأمر ظلوا يفضلون الكهرباء في التعذيب، لأنها أشد خطراً وأسرع أثراً، ففي دقيقة واحدة يمكن أحداث صدمة للشخص تروعه وتزلزل كيانه.

وكان الأمريكيون قد طوروا تكنولوجيا الصدمة في أوائل السبعينيات، لكي تكون وسيلة غير قاتلة في أيدي الشرطة، فظهرت (قضبان الصدمة) التي تشبه المصابيح اليدوية الصغيرة أو الهواتف النقالة، وهي تعمل على بطاريات عادية ويمكنها إحداث سلسلة من الصدمات التي تستمر لمدة جزء من الثانية، وتسبب انقباضاً في العضلات تجعل الضحية يتلوى وينتفض على الأرض، وأدوات من هذا القبيل تعتبر مثالية للذين يريدون استخدامها في التعذيب.

إن التعذيب بالصدمات الكهربائية أو إساءة معاملة السجناء بأدوات الصدمة تجري في ٥٠ بلداً على الأقل من بلدان الشرق الأوسط وأفريقيا وأميركا اللاتينية وآسيا. علماً بأن هناك مائة شركة في العالم تبيع أدوات التعذيب بالكهرباء.

٢- وإليك بعض الإحصاءات والنماذج في هذا الباب:

السيلان: وهو من أكثر الأمراض المعدية انتشاراً نتيجة المعاشرة الجنسية غير الشرعية، وأعراضه نزول سائل أصفر يبدأ بالنزول من فتحة البول، مع شعور المريض بضيق وحرقه. يصيب المرض كغيره من هذه الأمراض الفتاكه الرجال والنساء معاً، وينتهي بحدوث التهابات في الخصيتين والمثانة وضيق مجرى التبول عند الرجال، أما النساء فيسبب التهاب الرحم والمبيض والكليتين، وفي النهاية قد يؤدي إلى العقم.

وكثرة الجرائم والذائل (١).

وتحكم المستبدين على الشعوب.

وسيطرة الاستعمار والاستغلال والاستثمار والاحتكار والربا.

إلى غيرها وغيرها من القائمة الطويلة (٢)، التي تنافي حرية الإنسان والوصول إلى ملذاته.

سرطان الجلد: وهو مرض يعصف بالإيطاليين خاصة وبشكل كبير بسبب المبالغة في التعري دون غيرهم، فقد ارتفعت نسبته بينهم حسب إحصاءات وزارة الصحة الإيطالية، والحكومة كانت قد رصدت في عام واحد هو العام ٩٦ أكثر من أربعمائة مليار ليرة لمكافحة هذا المرض دون أن تكون هناك أي نتائج ملموسة.

السكري: مرض شائع يعاني منه (١٦) مليون أمريكي وأكثر من (٤) ملايين بريطاني، وأن أكثر من ٢٠% من سكان منطقة الشرق الأوسط يعانون من هذا المرض، وقد وصلت هذه النسبة إلى أكثر من ٣٥% في بعض الدول العربية.

إن مشكلة السكري مستفحلة في معظم دول العالم وقد يعود ذلك إلى تبدل نمط الحياة وازدياد نسبة البدانة بالإضافة إلى ازدياد نسبة الأمراض المناعية والفيروسية. كما ازدادت عدد حالات الإصابة بالمalaria بين سكان المدن الأوروبية والأمريكية الذين يسكنون بالقرب من المطارات.

الإيدز: وهو داء العصر فحدث عنه ولا حرج، فهناك ٣٦٠ ألف مصاب في أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى، و ٥٢٠ ألف مصاب في أوروبا الغربية، و ٩٢٠ ألف مصاب في أمريكا الشمالية، و ٥٣٠ ألف مصاب في شرق آسيا والباسيفيكي، و ٢٢٠ ألف مصاب في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، و ٣٦٠ ألف مصاب في دول الكاريبي، وغيرها كثير.

١- وعلى سبيل المثال نذكر بعض ما ورد في التقارير من التعدي والتحرش الجنسي على الرهبات من قبل القساوسة! فكيف بسائر الناس في المجتمع الغربي، حيث قد أقر الفاتيكان بأن الرهبات الكاثوليكيات يتعرضن لتحرش جنسي من قبل القساوسة، وفي بعض الصحف: إنها رصدت بعض الحالات التي حملت فيها الرهبات من القساوسة ثم أجبرن على الإجهاض عقب ذلك، وفي التقرير الذي نشرته (ناشيونال كاثوليك ريبورتر) قال المتحدث: إنه رصد ثلاثة وعشرين دولة وقعت فيها هذه الانتهاكات من بينها الولايات المتحدة وإيطاليا والهند وإيرلندا والبرازيل، وكان رئيس حملة الأساقفة الأمريكيين من أجل التنمية البشرية قد ألقى محاضرة حول المشكلة نفسها في عام أربعة وتسعين ونقل عنه القول إنه سمع شخصيا قصصا مأساوية عن نساء متدينات أجبرن على ممارسة الجنس مع قساوسة أو رجال دين أقتنعهم بأن ممارسة الجنس أمر مفيد للطرفين، وقال التقرير: إن النساء اللواتي تعرضن لهذه المأساة لم يجدن كثيرا من التعاطف عندما اشتكين في تقرير صدر عام أربعة وتسعين، قالت الراهبة ماورا أودوني - المؤهلة كطبيبة -: إن راهبات من الكنائس المحلية قدمن مناشدات حارة إلى المسؤولين الكنسيين الدوليين يطلبن المساعدة، وقالت: إن الرهبات المتضررات حاولن تقديم شروح إلى السلطات الكنسية حول هذه القضية فلم يجدن آذانا صاغية. الناشر.

٢- قد ذكرنا جانباً من تفصيل ذلك في كتاب (إلى حكم الإسلام) و (نريدها حكومة إسلامية) و (في ظل الإسلام).
منه (رحمه الله).

ودع عنك ما في غير الإسلام من التعذيب الوحشي والقاسي الذي يلاقيه المعتقلون والمسجونون، مما تقشعر له الجلود، وتندى له جبين الإنسانية.

ودع عنك أيضاً ما في غير الإسلام من:

الحروب الوحشية الضارية، التي ليست في قائمة اللغات لها أسام، من جهة هولها المرعب وفضاعتهما البالغة (١).

فإذا صح أن يقال: إن الإسلام يكبت الشهوات، فإنما هو جزء من ألف جزء من كبت سائر الأنظمة للشهوات. وإذا صح أن يقال: إن الإسلام كالصعود إلى جبل زلق ذا أمتار عشرة، فإنما غير الإسلام كتسلق جبل أكثر وعورة، ذا عشرة آلاف متر.

علماً بأن لا يصح حتى نسبة هذا المقدار إلى الإسلام، فإن الإسلام إنما لاحظ المصلحة في ما أمر ونهى، فهو مثل أن يسوق السائق السيارة في أرض مبلطة، ويتقيد بها وبإشارات المرور وقوانينه لمصلحة الركاب، بخلاف سائر المبادئ والأنظمة، فإنما أملأها الحقد والجهل والعاطفة والمحيط الاجتماعي ومصالح البعض على حساب الآخرين، فهو مثل أن يسوق السائق السيارة على خلاف الجادة أو في الأراضي الوعرة غير الموصلة إلى الهدف.

وهذا الذي ذكرناه من حرية الإسلام وكونه موافقاً للميول والملذات والشهوات الفطرية كان سبباً لتقدم الإسلام الهائل، وانضواء الأمم تحت لواء الإسلام حين بدء الإسلام بالانتشار، وكأنها جليد يذوب أمام الشمس الدافئة، بينما ترى أن الشعوب لم تنضو تحت ألوية المبادئ والأفكار الأخرى، إما إطلاقاً، وإما انضوت بقوة النار والحديد، ودوائر الأمن والجوايس، ثم إذا وجدت الشعوب متنفساً، أطاحت بالحكم المسيطر عليها، بأبشع أنواع الإطاحة، وذلك لما رأت من تلك الأحكام والحكام من العنف والجور والإذلال والكبت (٢).

فهل لك أن تذكر مبدأ آخر - غير مبدأ الإسلام - ساد في رقعة كبيرة من الأرض، بقدر الجزيرة العربية سعة

١- ففي الحرب العالمية الأولى (١٩١٤/٧/٢٨-١٩١٨/١١/١١م) التي كانت تعرف بالحرب الكبرى حتى نشوب حرب (١٩٣٩-١٩٤٥) (الحرب العالمية الثانية) وقد نشبت بين ألمانيا والنمسا والمجر والامبراطورية العثمانية من جهة، والحلفاء فرنسا وإنجلترا وروسيا وبلجيكا واليابان والولايات المتحدة في المرحلة الأخيرة، من جهة ثانية، ففاقت كل ما سبقها من الحروب هولا وتدميراً، اشترك فيها ٦٥ مليون مجند والقتلى نحو ٩ ملايين من العسكريين، ويقدر عدد الضحايا المدنيين بعشرة ملايين، ما عدا المشوهين. وأما الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥/٩/٢) فقد نشبت بين قوات المحور ألمانيا وإيطاليا واليابان من جهة، والحلفاء فرنسا وإنجلترا والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة والصين من جهة ثانية، وفيها أنتجت أميركا أول قنبلة ذرية وألقته على اليابان. اشترك في الحرب نحو ٩٢ مليون مجند ومساعد، وكان القتلى من العسكريين والمدنيين نحو ٤٩ مليون، منهم ١٢ مليون في معتقلات ألمانيا، ٢٠ مليون روسي (منهم ٧ ملايين مدني)، ٦ ملايين مدني بولوني، ٥ ملايين ألماني، ٣ ملايين ياباني، مليون ونصف يوغوسلافي، ستمائة ألف لكل من فرنسا واليونان، أربعمائة ألف لكل من المجر ورومانيا وبريطانيا.

٢- وذلك كالإطاحة بحكومة حزب البعث في العراق عام (١٩٦٣م)، والإطاحة بحكومة شاه إيران عام (١٩٧٩م) وانهيار الشيوعية أخيراً وغيرها.

والبحرين واليمن والخليج وإلى الأردن (أكيدر) بألف وبضع قتيل فقط من الطرفين؟
إنه مبدأ السلام حقيقة، وليس مبدأ الحرب إطلاقاً.

والحرّي أن تسمى حروب الإسلام، سلاماً، لا حروباً، لأنها كانت دفاعية بتمامها (١).

وهل رأيت مبدأ ينشر الأمن والأمان وإصلاح النفس وسلامة المجتمع بحيث لا يوجد فيه حتى عشرة لصوص، طوال مائتي سنة، في رقعة كبيرة من الأرض، تمتد من الهند إلى مصر، ومن أقاصي أفريقيا إلى أفغانستان وبعض الدول الواقعة في الاتحاد السوفيتي؟.

وهل سمعت بمبدأ، يكون تحت ظله لمدينة كبيرة - كالكوفة - قاض واحد، ثم لا يقع فيها التنازع والإجرام، مدة طويلة، حتى يقول صديق القاضي: اختلفت إلى القاضي أربعين يوماً من الصباح إلى الظهر، فلم أر عنده خصومة ولا تخصماً؟

إلى غيرها، وغيرها مما هو مذكور في التواريخ، ومسطور في الزبر، وقد شهد بذلك أعداء الإسلام، كما شهد به ألباؤه، وأثبتته خصوم الإسلام، كما أثبتته أصدقاؤه (٢).

١- انظر كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) ج ١ و٢ للإمام المؤلف (قدس سره).

٢- ومن نماذج ذلك: (روبرت كوين): دكتوراه في القانون الدولي والمقارن، رئيس جمعية هارفارد للقانون الدولي، ومستشار الرئيس الأمريكي نيكسون للشؤون الخارجية ونائب مدير مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض سابقاً ومؤسس جمعية المحامين المسلمين الأمريكيين، اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م، يقول: (الإسلام هو الحل الوحيد فهو الذي يحمل العدالة في مقاصد الشريعة وفي الكليات والجزئيات والضروريات).
(محمد مار ماديون باكتال): إنجليزي أصدر كتاب (الثقافة الإسلامية) كما قام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية وهي أول ترجمة يقوم بها إنجليزي مسلم يقول: (يمكن للمسلمين أن ينشروا حضارتهم في العالم بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً بشرط أن يرجعوا إلى أخلاقهم السابقة لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم).

(عبد الصمد كيل، موري كيل): كندي حصل على عدة شهادات في الدراسات الإسبانية والإسلامية يتقن العربية والإسبانية والفرنسية والإنجليزية قال: (لقد أعطاني الإسلام التوازن في الحياة، فماذا يخسر من يربح الإسلام؟ وماذا يربح من يخسر الإسلام؟ لقد وجدت في الإسلام ما يطابق العقل وما يعطي العقل الإيمان العقلي).

(ليون روي): سياسي وباحث فرنسي تعلم العربية ليتجسس على المسلمين، ولكنه اقتنع بالإسلام حقيقة فاعتنقه وأصدر كتابه (ثلاثون عاماً في الإسلام) يقول فيه: (وجدت في الإسلام حل المسألتين الاجتماعيتين والاقتصادية اللتين تشغلان بال العالم طراً، الأولى: في قوله تعالى: ((إنما المؤمنون أخوة)) فهي أعظم مبدأ للتعاون الاجتماعي. والثانية: في فريضة الزكاة.. ولو تمسك المسلمون بالإسلام لكانوا أرقى العالمين وأسبقهم في كل الميادين)، ويقول: (وجدت الإسلام أفضل دين ولقد بحثت في تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالاً ثم وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الحكماء من نفوس الخير والرحمة).

٧

الاهتمام ببلاد الغرب

ومن الضروري جداً لإقامة حكم الإسلام: اهتمام النواة العاملة، ببلاد الغرب، ليجعلوها منطلقاً للإسلام. وذلك بإرسال المبشرين والمرشدين إليها، ممن تتوفر فيهم القوة العلمية والعملية، المزودين بالعلم الكثير في مختلف المجالات من إسلامية وعصرية واجتماعية، وبتقوى الله ومراقبته في السر والعلن، وبالأخلاق الفاضلة والملكات الحسنة، وبقدرة فائقة على الإنشاء والإملاء، قلماً ولساناً، فإن الغرب باعتباره مركز القوة والمال والحضارة الجديدة، هو المرتفع العالمي - في هذا اليوم - الذي ينحدر منه سيل الأفكار والمبادئ والأنظمة، كما ينحدر منه سيل الدساتير والمؤامرات والانقلابات، وكما ينحدر منه سيل البضائع والصناعات والحاجيات.

فإذا تمكنت النواة العاملة من تحصين الغرب بالإسلام، ونشره هناك، وإصدار المجلات والجرائد، وفتح المكتبات في تلك البلاد، انسافت البلاد الإسلامية إلى الإسلام، من ناحية، وتوقفت قواعد انطلاق الكفر والاحراف من تزويد المواد الفاسدة في بلاد الإسلام بالوقود والمادة، من ناحية ثانية.

هذا وقد اعتادت بلادنا، أن تنظر بنظر الجلال والعظمة إلى تلك البلاد، وأن تجعلها أسوة فيما تأخذ أو تذر، بحركة سريعة، فإذا اعتادت النساء في فرنسا لبس (اللباس الفلاتي) مثلاً، ترى بعد أسبوع، اشتغال معامل الخياطة بصنع هذا اللباس، وبعد أيام يدهشك أن لا ترى من هذا النوع من اللباس أثراً! وإذا سألت عن السبب؟ قالوا: صار هذا النوع قديماً، وجاء نوع جديد و (موديل) حديث.

والإسلام، حيث إنه مبدأ خصب من جميع النواحي، فإذا بذرت بذرتة في تلك البلاد، لا تمر عشر سنوات، إلا وتراها قد بسقت وصارت شجرة كبيرة، وأينعت وأثمرت، فتقطف بلاد الإسلام ثمارها... والذي يشهد بذلك، ما نراه من إقبال المسلمين على ترجمة الكتب الإسلامية التي تصدر من تلك البلاد، بكل لهفة واشتياق، والإقبال على تلك الكتب من جماهير القراء إلى حد الهيام والالتهام، مع أن الكثير من هؤلاء المترجمين والمطالعين، يعلمون بدسائس كثير من المستشرقين وأكاديبهم، وأن الكثرة الكثيرة منهم جنود الاستعمار وطلّاع الغزو، أليس مثل هذا دليلاً على أن البلاد الإسلامية تنظر إلى تلك البلاد نظر العظمة والجلال وأنها تقبل على إنتاج تلك البلاد رطباً كان أو يابساً؟.

٨

اللاعنف سياسة الأنبياء (عليهم السلام)

الأمر الثامن في طرق الوصول إلى الحكم الإسلامي: اللاعنف دائماً. ومن أهم ما يلزم مراعاته في الوصول إلى الحكم الإسلامي وتطبيقه، اتخاذ سياسة اللاعنف مع الجميع وفي

جميع الأمور وكل الظروف (١).

وهذا ما أمر الله عز وجل به أنبيائه الكرام (عليهم السلام) وهو من أسرار تقدم الأنبياء على طول التاريخ. وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعترته الطاهرة خير مثال في اللاعنف كما هو واضح في سيرتهم العطرة وأخلاقهم الحسنة.

قال تعالى: ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (٢).

وقال سبحانه: ((قَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)) (٣).

خطوات العمل

ومع تحقق البنود المذكورة وتهيئة هذا الجو العام، من الداخل والخارج، كان من الضروري الشروع في إقامة حكم الإسلام، وقلع جذور المبادئ التي أسست عليها الحكم الإسلامي، وذلك ببندى بتغيير كلية الحقوق (العربية) إلى كلية الحقوق (الإسلامية) فتبدل مناهج (القانون) إلى مناهج (الإسلام)، فإن كلية الحقوق هي المادة الخصبة لنمو الأفكار التي تبنى عليها البلاد، فكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وما إلى ذلك. فإن كلية الحقوق التي تشد أزرها قوة الدولة بأسرها، هي التي تسن قوانين السجون والعقوبات والجمارك والمكوس، والمحاكم والحكام والشهادات، والاقتصاد والتجارة، والجنديّة والعسكرية، والثقافة والتربية، والدعاية والإذاعة، والأحوال الشخصية، والزراعة والصناعة، والسياسة وأنظمة الحكم، إلى غيرها وغيرها. فإذا تبدلت هذه الكلية إلى كلية إسلامية لا بد وأن تتبدل مناهج البلاد وتتغير أنظمة الحكم والتنفيذ، فتسير حينئذ البلاد تدريجياً - ولكن بخطوات واسعة - نحو الإسلام العملي المسيطر على جميع مجالات الحياة. وفي ظل ذلك يقع التبدل الشامل، في مختلف شعب الحياة، وجميع نواحي الاجتماع.

أقصى مدة

وإني أقدر أقصى المدة للأميرين (المبادئ الموصلة إلى التبدل الشامل) و (الشروع في التبدل حتى الوصول إلى الهدف) بعشرين سنة، ذلك: لأن الجيل الحاضر الذي لم يفهم الإسلام إطلاقاً، أو لم يفهم منه إلا الصلاة والصيام وما إليهما، غير مستعد لأن يتقبل بسهولة مبادئ الإسلام العملية، ويترك ما وجد عليه المجتمع منذ أن فتح عينيه إلى أن بلغ مبلغاً، فيصعب فيه إزالة ما علق بذهنه من الأفكار والسلوك والأنظمة، فمن اللازم أن يكون الجيل الصاعد هم المطبقين للإسلام العملي، والجيل الصاعد إنما يتمكن من النهوض بهذا العبء الكبير إذا

١- للتفصيل انظر كتاب (اللاعنف في الإسلام) و (الفقه، السلم والسلام) للإمام المؤلف (رحمه الله).

٢- سورة القلم: ٤.

٣- سورة آل عمران: ١٥٩.

تربى تربية إسلامية، واستوعب ذهنه بالإسلام، واختلطت أنظمة الإسلام بلحمه ودمه، وأشرب في قلبه حب الإسلام، وتفتن بمزاياه ومحاسنه، واستعد أن يضحي لأجله بكل غال ونفيس، وهذه الأمور تحتاج إلى المدة التي ذكرناها، نعم السرعة في سير النواة العاملة، وعدم اصطدامها بمعوقات، ووجود مفكرين أقوياء فيها، والدعاء والتوسل توجب قصر الطريق بإذن الله تعالى.

ذوي الخبرة والاختصاص

ومن المهم جداً وجداً، أن تهتم النواة العاملة، من بدء سيرها، بالتقاط جمهرة غفيرة من المفكرين وذوي الخبرة والاختصاص، الأقوياء في الفكر والعمل، الحازمين في بتّ الأمور، البصيرين بتقلب الأوضاع، حتى يتمكنوا من إنماء البذرة، نمواً حسناً سريعاً، بجمع المؤهلات للإنماء، ورفع العوائق وإزالة العقبات حسب المستطاع وما ذلك على الله بعزيز.

الفصل الثالث

الهدف من إقامة الحكم الإسلامي

الأهداف

الموضوع الثالث هو: بيان الهدف من الحكم الإسلامي.
 فما هو الهدف الذي نتوخاه من إقامة حكم الإسلام؟
 وماذا الذي نريده من الأغراض في هذا الأمر الخطير؟
 وأية فائدة تترتب على تحكيم نظام القرآن في البلاد؟
 وهل نريد بذلك فائدة عاجلة أو آجلة؟
 وهل الفائدة تعود إلينا نحن المسلمين فقط، أم إلى سائر البشر أيضاً؟
 نقول: إن الغرض من إقامة حكم الإسلام أمور أربعة:

مرضاة الله

الأول: مرضاة الله تعالى، وإطاعته، وامتنال أوامره، شكراً على ما أنعم، وتقديراً لما منح، فإن الله تعالى هو الذي أوجد الإنسان من كتم العدم، ولم يك شيئاً مذكوراً، وأعطاه نعمة الحياة، وتفضل عليه بالأعضاء والجوارح والقوى، والعقل والاختيار، ثم السبيل يسره، وجعل الكون حسب حاجاته وأغراضه ومآربه، فلا يريد الإنسان شيئاً في إدامة حياته، أو في إنماء صفاته، أو تحسين حالاته، أو في تقوية ملكاته، إلا وقد هيأها الله تعالى في الكون، حتى ينتفع بها الإنسان، ويستمد منها ما يحتاج إليه.

قال تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَّكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ، وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُم ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ))^(١).

إذاً: أليس هذا الخالق المنعم العظيم، يستحق الشكر والثناء، بأن يمتثل أوامره، ويطاع فيما يأمر وينهى،

١- سورة الحج: ٦٥-٦٦.

ويكون الإنسان أمامه خاضعاً، ويقدره حق قدره في القيام بين يديه، والبخوع لجلاله، وقد أمر سبحانه أن يطبق الناس أوامره وقوانينه على مختلف جوانب حياتهم، فاللزام إطاعته وامتثال أوامره. ولو لم يكن الهدف من إقامة حكم الله، إلا هذا الأمر فقط وفقط، لرأى العقل السليم والفطرة المستقيمة، وجوب ذلك والاتصياح له.

حسن المعاد

الثاني: تأمين المعاد، والتزود للحشر والنشر، والتأهب للسعادة الأبدية في يوم القيامة، فإن وراء الإنسان عقبة كئوداً، وسفراً طويلاً، وسعادة دائمة، أو شقاء لا يبيد، فإذا أطاع الإنسان ربه، وامتثل أوامره، وكان عند ما يأمر وينهي، وبخع لجلاله، وخضع لعظمته، كان من نصيبه رضاه سبحانه، وذلك يوجب دخوله جنة عرضها السماوات والأرض، في أفضل عيش وأحسن حال، وخير منقلب وأجمل مثوى، حيث مرافقة الصالحين والملائكة المقربين، وظل ظليل وعيش رغيد، ورضوان الله الأكبر، فإن الإحساس النفسي بأن الله الملك الكبير المتعال، راضٍ عن الإنسان من أنها النعم، وأذ الميزات، أريت لو كنت في قصر فخم، مهياً لك الأسباب، ولكنك علمت أن الملك ساخط عليك وغير راض عنك، كيف كنت قلقاً غير مرتاح، وبالعكس إذا كنت في بيت حقير، وعلمت أن الملك راض عنك، كيف كنت مرتاح البال، مطمئن النفس، هادئ الحال؟

إن لذة الروح أكبر من لذة الجسد، ورضاية الشخص العظيم الكامل من الإنسان، من أكبر ملذات الروح، لأنه يحس في ذاته كملاً - حيث رضى عليه الكامل - والحس بالكمال من أرفع ملذات النفس، وأرقى أقسام المشتبهات الروحية.

وإذا خالف الإنسان خالقه، وتجاوى عن إطاعته، وركب رأسه، وقاده هواه، وسلك سبيل الغي والعصيان، كانت له جهنم منزلاً، والنار مستقراً، حيث أنواع الآلام، وأصناف العذاب، وصنوف الذل والهوان، وسخط الله الذي هو أعظم ألم على النفس من سائر الآلام، ولذا ورد في دعاء كميل: «فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربّي صبرت على عذابك، فكيف أصبر على فراقك» (١).

تأمين حاجات الروح

الثالث: تأمين حاجات الروح، فإن في إقامة حكم الإسلام، إشباع للروح وتغذية للنفس، وملاً للعاطفة وذلك لأن الروح تتطلب عرفاناً للمبدأ والمعاد، ومعرفة للحقائق، وإرضاءً لجوانب النقص فيه، وحكم الإسلام حيث يسبب ازدهار العلم والثقافة، يوصل الإنسان إلى حقائق الكون، مبدأ ومعاداً، وحقائق وجود الإنسان وصفاته الكامنة، وملكوته النابتة أو المتحجرة وبما أن المادة لا تفي بجميع حاجات الإنسان، يبقى كل إنسان كئيباً حزيناً، لا يعلم طريقه، ولا يهتدي سبيلاً

١- إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ج ٣ ص ٣٣٥ ف ٥١ ذكر دعاء كميل بن زياد.

لحوائجه ومتطلباته، فإذا قام حكم الإسلام، سدّ هذا الجانب المهم
مثلاً: إن الذي ابتلى بمرض مزمن ينغص عليه حياته وعيشه وسعادته، إذا حقن بالصبر الذي قاله الإسلام،
هان عليه المرض، وشعر بارتياح داخلي
والذي ابتلى بظالم لا يتمكن من الهرب منه، إذا علم بأن عين الله ترعاه، وأنه يؤجر ويثاب على ما أصابه،
وأن ظالمة سوف يُنتقم منه أشد انتقام، سكنت نفسه واطمأنت، وامتلاً ارتياحاً وطمأنينة.
وقد قال الإمام الحسين (عليه السلام) حين رموا ولده الرضيع بالسهم فذبوه من الأذن إلى الأذن، كلمته
الرفيعة: «هَوْن ما نزل بي أنه بعين الله» (١).
وهكذا في سائر الأمور المرتبطة بجوانب الروح، وأطراف النفس.
أسمعت أحداً من المتدينين انتحر لضيق أصابه؟

كلا!

ولم ذا؟

لأنه يصبر نفسه ويرجو المستقبل والفرج من الله، بخلاف غير المتدين الذي لا يجد ملجأ، ولا يرجو
مستقبلاً.

وهل سمعت بأخبار بطولة المسلمين الأوائل الذين نالوا أرقى درجات العز، تحت ظلال تلك البطولات؟
أنها كانت من جرّاء الإيمان وقوة الروح، وارتفاع النفس، بسبب حكم الإسلام وسيادة قوانين الله تعالى
المسيطر على أرواحهم.

ولا يخفى أن المراد من (الهدف الثالث) أنه إذا ساد حكم الله تعالى في البلاد، أنقذ البشر جميعهم من العقد
النفسية والمشاكل الروحية، وإلا فمن الممكن أن يتحلّى فرد أو أفراد بالسمة الإسلامية حتى مع عدم سيادة حكم
الإسلام، فتؤثر في أنفسهم نفس المفعول الذي نتوخاه من سيادة الإسلام.

إذاً: كلامنا في التيار الإسلامي العام، وحكم الإسلام في البلاد وأنه يوجب بناء روح البشر، بينما غير حكم
الله لا يبني إلا المادة والجسم، إن سلّمنا أنه يبني المادة والجسم، وإلا فالواقع أن نقول: إن غير حكم الله لا يبني
حتى الجسم والمادة، كما ستري.

فإن أكثر الجرائم والموبقات، والأعمال اللاإنسانية والأخلاقية، والجنايات، وتفشي الشهوة المحرمة،
والاستهانة بالآخرين وحقوقهم، وانتهاك الأعراض والحرّمات، وما إلى ذلك، إنما هي بسبب عدم بناء الروح
والنفس، مما يهتم به الإسلام، ولذا نرى عند قيام حكم الإسلام في الأزمنة السابقة، وعند المتدينين في كل زمان
ومكان، لا يوجد من هذه الأمور حتى ما يصح أن يعبر عنه بالقليل.

تأمين حاجات الجسد

الرابع: تأمين حاجات الإنسان وتعميم الخير والرفاه، والصحة والسلام، والعلم والثقافة.

١- اللهوف على قتلى الطفوف: ص ١١٥ المسلك الثاني.

فإن الإسلام بفضل بنائه للروح، وإعطائه كل حرية ليست هدامة، تمكن أن يفعل المعجزات في ازدهار الحياة ونموه، وقد ر على أن يكون حضارة لا يعقل أن يأتي مثلها إلى الأبد.
فتصور أنت:

مجتمعاً كل إنسان فيه حر في كسبه، حر في تجارته، حر في سفره، حر في إقامته، حر في تأليفه، حر في نشره، حر في طبعه، حر في تكلمه، حر في حيازته للمباحات، حر في زواجه، حر في زراعته، حر في صناعته، حر في أن يلبس أي لباس، حر في ثقافته..

ومجتمعاً ليست فيه جرائم وموبقات، ليس فيه ظلم، ليس فيه فقر ولا فقير، ليست فيه رشوة، ليست فيه خيانة، ليس فيه ربا واحتكار وغش، ليس فيه مرض، ليست فيه ضرائب مرهقة، ليست فيه سجون، ليس فيه تعذيب، ليست فيه جواسيس وعيون تعد على الناس أنفاسهم وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم.
ومجتمعاً يسوده الصدق والوئام، وشعاره النشاط، ودثاره حسن النية، ويظل عليه التعاون والانسجام، ويكنفه العدل والإحسان.

ومجتمعاً يزدهر فيه الاقتصاد، وتتصل في أراضيهِ الزراعة والعمارة، وتنمو فيه الثقافة فكل أفرادهُ مثقفون، ومشغولون بالاستثمار والاستنتاج والتعلم والتعليم والتقدم والترقي.

ومجتمعاً لا يشكو فتاه عزوبة، ولا فتاته تحير الوحدة، يرحم كبيرهم صغيرهم، ويوقر صغيرهم كبيرهم، تحكمه الموازين الدقيقة، والمقاييس العادلة، ويتمتع كل فرد منهم بالصحة الجسدية، اتباعاً لمناهج الصحة العامة والخاصة، بلادهم نظيفة، وقلوبهم أنظف، دورهم وسيعة، وصدورهم أوسع، عماراتهم وصناعاتهم جميلة، وأخلاقهم أجمل.

أقول: تصور أنت هذا المجتمع، ثم أحكم هل من الممكن أن يكون قد أتت في سالف الزمان قبل الإسلام، أو أن تأتي في المستقبل، حضارة ومدنية أرقى وأحسن من هذه الحضارة والمدنية؟.

ولذا نرى كيف انصاعت البلاد للإسلام عند بزوغه.

ونرى كيف يمدح الإسلام وحضارته حتى الأعداء.

ونرى كيف أن البقية الباقية من الإسلام تزدهر وتشع في النفوس والمجتمعات.

وهذا الذي ذكرناه هو الموجز الضئيل جداً من (أهداف حكم الإسلام) بدون شرح ولا تفصيل ولا ذكر الأدلة والشواهد إلا إجمالاً.

ومن أراد الشواهد على أن الإسلام يهدف لهذه الأمور التي ذكرنا جملة منها، فعليه أن يراجع كتاب (وسائل الشيعة)(١) ..

١- يقع الكتاب في ثلاثين مجلداً وهو من تأليف الشيخ الحر العاملي محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين العاملي (رحمه الله). يحوي روايات أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) في الأحكام الشرعية في جميع أبواب الفقه. وقد اعتمد الشيخ الحر العاملي في هذا الكتاب - بالإضافة إلى الكتب الأربعة - على أكثر من ١٨٠ كتاباً من الكتب الروائية المعتبرة عند الشيعة. ويعد كتابه هذا من أفضل الجوامع الروائية عند الشيعة.

فهو يحوي ما يقرب من ٣٦ ألف رواية حول الأحكام الشرعية، الواجبات، المحرمات، المستحبات والآداب. وقد حظي هذا الكتاب منذ زمن تأليفه بعناية واهتمام علماء الشيعة وفقهائهم. ويعتبر في زماننا هذا من الأركان

الأصلية لاستنباط الأحكام الشرعية والاجتهاد في الحوزات العلمية الشيعية، وفي جميع دروس البحث الخارج في الفقه حيث يستند عليه في نقل الروايات.

وقد رتب الشيخ الحر العاملي روايات هذا الكتاب بحسب ترتيب المسائل الشرعية في الكتب الفقهية، من كتاب الطهارة حتى كتاب الديات على شكل أبواب مستقلة. وقد سعى لتخصيص باب مستقل لكل مسألة شرعية، وهذا جعل الحصول على الروايات سهلاً جداً بحيث يمكن للمراجع أن يعثر على الرواية المطلوبة بكل يسر. وزاد في أبواب الكتاب بما تساعده المسائل المودعة في الأخبار مع ترتيب مأنوس ونضد مرغوب.

وقد بذل الشيخ عشرين عاماً من عمره في كتابة هذا الكتاب وهي خدمة كبيرة في طريق حفظ روايات وأقوال أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام). واستطاع الشيخ الحر العاملي تجديد النظر في هذا الكتاب مرتين وكتابته بتمامه والمرور على ما فيه.

شروح وتعليقات الكتاب: ١ و ٢ - تحرير وسائل الشيعة وتحرير مسائل الشريعة. وتعليقة على وسائل الشيعة. وكلاهما للشيخ الحر العاملي مؤلف الوسائل. ٣ - شرح وسائل الشيعة للشيخ محمد بن الشيخ علي بن الشيخ عبد النبي بن محمد بن سليمان بن المقابي المعاصر للشيخ يوسف البحراني. ٤ - شرح وسائل الشيعة للحاج المولى محمد رضا القزويني الذي استشهد في فتنة الأفاغنة. ٥ - مجمع الأحكام للشيخ محمد بن سليمان المقابي البحراني المعاصر للشيخ عبد الله السماهيجي. ٦ - شرح وسائل الشيعة للسيد أبي محمد حسن بن العلامة هادي آل صدر الدين موسى طاب ثراه. ٧ - الإشارات والدلائل إلى ما تقدم أو تأخر في الوسائل، لحفيد العلامة صاحب الجواهر الشيخ عبد الصاحب. ٨ - شرح وسائل الشيعة لآية الله السيد أبي القاسم الخوئي. ويتصدى هذا الكتاب لبيان المطالب التي يمكن استفادتها من الروايات والتي لم يشر إليها صاحب الوسائل إضافة إلى الروايات الأخرى التي لم يذكرها الشيخ الحر العاملي. ٩ - مستدرک الوسائل للعلامة المحدث النوري. وقد تصدى فيه لذكر الروايات التي لم يأت بها الشيخ الحر العاملي وبحسب ترتيب وسائل الشيعة، وبالتوجه إلى مقدار هذه الروايات فإن حجم الوسائل يصبح ضعيف ما عليه الآن.

خاتمة الكتاب: ذكر الشيخ في نهاية الكتاب أموراً مهمة في علم الحديث والرجال مثل مشيخة الشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي، والشيخ الكليني، ومصادر الكتاب، وسند المؤلف إليها، وصحة واعتبار مصادر الكتاب، وأصحاب الإجماع، وقرائن الخبر، وصحة أحاديث الكتاب، والجواب على الاعتراضات، والأحاديث المضمرة، وأحوال الرجال واصطلاحات الكتاب. كما أورد الشيخ أيضاً كتاباً رجالياً مختصراً للشيخ المفيد. وقد قام بتوثيق الكثير من الرواة معتمداً على المصادر الرجالية المعتمدة.

فهرس الكتاب: كتب الشيخ الحر العاملي فهرساً لكتاب الوسائل تحت عنوان (من لا يحضره الإمام). ويحوي هذا الفهرس جميع عناوين أبواب الكتاب، وحيث إن كتاب الوسائل ذكر جميع المسائل الفقهية في أبواب مستقلة فإن هذا الفهرس أصبح بحد ذاته دائرة غنية للمعارف وجامعة للمباحث الفقهية ومختصراً لكتاب الوسائل، بل أصبح - كما ذكر المؤلف نفسه - كتاباً فقهياً يحوي جميع الفتاوى المنصوصة التي وردت فيها رواية.

خلاصة الكتاب: قام الشيخ الحر العاملي بتلخيص كتاب الوسائل تحت عنوان (هداية الأمة إلى أحكام الأئمة) ثم لخص هذا أيضاً تحت عنوان (بداية الهداية). وقد انتهى في كتاب البداية إلى أن واجبات الإسلام ١٥٣٥ واجباً ومحرماته ١٤٤٨ محرماً.

وكتاب (مستدرک الوسائل)(١) ..

وكتاب (بحار الأنوار)(٢) من كتب الأخبار.

النسخ الخطية للكتاب: ١ - نسخة في مكتبة الآستانة الرضوية في مشهد المقدسة. وهي بخط المؤلف كتبها في ربيع الأول سنة ١٠٧٢ هـ. وهي النسخة الأولى من الوسائل. ٢ - نسخة في مكتبة آية الله النجفي المرعشي في مدينة قم المقدسة. وهذه النسخة أيضاً بخط المؤلف وقد كتبها في سنة ١٠٨٢ هـ. وهي النسخة الثانية من الوسائل. ٣ - نسخة أخرى في مكتبة الآستانة الرضوية في مشهد المقدسة كتبت بتاريخ ١١١٤ هـ. وقد كتبت هذه النسخة طبقاً للنسخة الثالثة للمصنف، وعليها تصحيحات وملحقات بخط المؤلف.

١- يقع الكتاب في ثمانية عشر مجلداً وهو من تأليف المحدث النوري الميرزا حسين بن محمد تقي بن علي محمد بن التقي النوري النجفي (رحمه الله) المتوفى عام (١٣٢٠هـ). وهو يحوي روايات وأحاديث الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في المسائل والأحكام الشرعية. وكتب هذا الكتاب استدراكاً على (وسائل الشيعة) للشيخ الحر العاملي. وقد قام المحدث النوري بخدمة كبيرة في حفظ آثار وروايات أهل البيت (عليهم السلام) حيث جمع أكثر من ٢٣ ألف رواية لم تذكر في (وسائل الشيعة).

كتب المحدث النوري كتاب المستدرک بنفس أسلوب كتاب الوسائل. فقد جعل ترتيب أبواب الكتاب مثل ترتيب أبواب الوسائل وبنفس العناوين ليسهل على المراجع الحصول على الروايات المطلوبة بسهولة، وعندما يخالف صاحب الوسائل في العنوان فإنه أيضاً يحاول التنسيق بين العنوانين حتى يبدو وكأن الكتابين لمؤلف واحد. كما عبر عن صاحب الوسائل في هذا الكتاب بالشيخ، وسمى كتاب الوسائل بالأصل.

شرع المحدث النوري بكتابة المستدرک في حدود سنة ١٢٩٥ هـ، في مدينة سامراء بجوار الحرم الشريف للإمامين العسكريين (عليهما السلام) حيث كان في خدمة أستاذه الميرزا الشيرازي. وفي سنة ١٣١٣ هـ أي بعد وفاة الميرزا الشيرازي بسنة واحدة، أتم القسم الأصلي من الكتاب. وفي سنة ١٣١٩ هـ. أتم القسم الثاني وهو الخاتمة في النجف الأشرف. وبذل المحدث النوري ٢٠ عاماً من عمره الشريف في جمع هذا الكتاب.

خاتمة المستدرک: كتب المحدث النوري (قدس سره) خاتمة لكتابه تعرض فيها إلى الكثير من المطالب الرجالية العالية، والمباحث العويصة المرتبطة بعلم الحديث مع العية الفائقة في دراسة التوثيقات الرجالية العامة، واختلاف المشارب والمسارب فيها. علماً بأنه ركز في هذه الفوائد على مناقشة المباني العلمية في التوثيقات الرجالية العامة.

وحجم خاتمة المستدرک تصل إلى ٦ أضعاف حجم خاتمة وسائل الشيعة، وهي أعمق بحثاً منها، بل هي نظرة إليها وإلى الكثير من كتب علم الحديث والرجال.

النسخ الخطية للكتاب: ١- نسخة في مكتبة الآستانة الرضوية في مدينة مشهد المقدسة. وهي بخط المؤلف، وتاريخ الانتهاء من كتابتها هو العاشر من ربيع الثاني سنة ١٣١٩ هـ، أي قبل سنة واحدة من وفاة المحدث النوري. ويوجد في نهاية هذه النسخة خط الشيخ آقا بزرك الطهراني وقد أيد هذه النسخة، ٢- نسخة في مكتبة العلامة حجة الإسلام السيد عبد العزيز الطباطبائي. وقد كتبت عليها حواش للشيخ آقا بزرك الطهراني، ٣- نسخة في مكتبة النصيري في طهران.

٢- يقع الكتاب في مائة وعشر مجلدات وهو من تأليف العلامة المجلسي محمد باقر تقي بن مقصود علي

وكتاب (جواهر الكلام)(١) ..

وكتاب (الحدائق الناضرة)(٢) ..

الأصفهاني(رحمه الله) المتوفى عام (١١١١هـ). موسوعة كبرى في الحديث تحوي جميع البحوث الإسلامية في التفسير والتاريخ والفقه والكلام وغير ذلك، حيث يحتوي بين دفتيه روايات كتب الحديث في تنظيم منسق وتبويب متكامل تقريباً. وقد اعتمد العلامة المجلسي في تفسير وشرح الأحاديث على مصادر متنوعة في اللغة والفقه والتفسير والكلام والتاريخ والأخلاق وغيرها. كما اختار النسخ المعتبرة من هذه المصادر لكتابة موضوعات هذا الكتاب حيث توافرت له إمكانات ضخمة في ذلك. وفي الجملة فإن كتاب (بحار الأنوار) يعتبر مكتبة جامعة ضمت الكتب المعتبرة في نظم وتنسيق خاصين. ينقسم كتاب (بحار الأنوار) إلى كتب متعددة اختص كل كتاب منها في موضوع معين. وكل كتاب ينقسم أيضاً إلى أبواب عامة وضم كل باب عام أبواباً جزئية. وقد ضمت بعض الأبواب الجزئية عدة فصول. وقد أوجد العلامة بعض الأبواب والكتب لأول مرة مثل: (كتاب السماء و العالم) و (تاريخ الأنبياء والأئمة(عليهم السلام))، وقد ذكر العلامة في الفصل الأول من مقدمته أسماء ٣٧٥ مصدراً من مصادر الكتاب. بدأ العلامة بكتابة البحار منذ سنة ١٠٧٠ هـ واستمر حتى سنة ١١٠٣ هـ. وتم تنظيمه في ٢٥ مجلداً. ولما صار المجلد الخامس عشر ضخماً قسم إلى مجلدين فأصبح عدد المجلدات ٢٦ مجلداً. وقامت (دار الكتب الإسلامية) بطبع هذه المجلدات الست والعشرين في ١١٠ مجلدات، وتمثل الأجزاء ٥٦ و ٥٥ و ٥٤ فهارس الكتاب.

١- يقع الكتاب في ثلاثة وأربعين مجلداً وهو من تأليف الشيخ محمد حسن المعروف بصاحب الجواهر (رحمه الله) المتوفى عام (١٢٦٦هـ). وهي موسوعة فقهية حوت جميع أبواب الفقه كلها على نسق واحد وأسلوب واحد، وبنفس السعة التي ابتدأ بها انتهى إليها، لذا فقد فاقت جميع ما سبقها من الموسوعات سعة وجمعاً وإحاطة بأقوال العلماء وأدلتهم. فأقبل أهل العلم عليه رجوعاً ونسخاً لأنه يغني عن كثير من الكتب الفقهية الأخرى ولا يستغنى بها عنه. ونقل عن الشيخ الجواهري(رحمه الله) أنه قال: من كان عنده جامع المقاصد والوسائل والجواهر فلا يحتاج إلى كتاب للخروج عن عهدة الفحص الواجب على الفقيه في آحاد المسائل الفرعية.

طبع الكتاب: نشر بعد وفاة المؤلف بقليل، وطبع على الحجر بإيران خمس طبعات في ستة مجلدات ضخام، ووقف منه مئات النسخ على طلاب العلم بالنجف وكربلاء وإيران. شرع الشيخ الجواهري في تأليفه من كتاب الخمس على غير الترتيب، وكتاب الخمس فرغ منه بتاريخ ١٢٣١ كما سجل في آخره، وآخر ما كتبه منه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانتهى منه سنة ١٢٥٧ كما سجل في آخره أيضاً. ولكن الشيخ آغا بزرك الطهراني (رحمه الله) استنتج أن أول كتاب شرع فيه هو كتاب الطهارة بدليل أنه ذكر في مبحث أحكام الاستنجاء أستاذة الشيخ كاشف الغطاء وقال عنه (سلمه الله)، كما تنطق به النسخة الأصلية المخطوطة. ومن المعلوم أن الشيخ الكبير توفي سنة ١٢٢٨.

٢- يقع الكتاب في خمسة وعشرين مجلداً، وهو جامع مبسوط وأول مجموعة فقهية ومدونة كبرى في الفرائض والسنن تحوي جل الفروع، وتضم في طيها الأقوال والآراء وأصول الدلائل. كما اشتملت على كثير من الأحاديث الواردة عن الصادع الكريم وأئمة العترة الطاهرة (عليهم السلام) في الأحكام الشرعية. وقد انبرى العلامة

وكتاب (مستند الشيعة) (١) من كتب الفقه.

البحراني (رحمه الله) لكلمات الفقهاء وما فهموه من الروايات فأفتوا بمؤدى اجتهادهم ونتيجة أنظارهم ومحصل استنباطهم، وافق الشهرة القائمة والإجماع بقسميه أو خالف، ثم ضم إلى كل رأي أدلته وأضاف إلى كل قول مستنده وما يؤيده ويدعمه، ثم حاول نقاشها بما يمكن أن يورد عليها من نقود ومواخذات، فإن تم عنده دليل ورأى الشبهة مزيفة ردها وأبطلها، واحكم الدليل وأثبتته واختار ما أدى إليه اجتهاده.

ما جاء حول الكتاب والثناء عليه: ١ - قال المؤلف في اللؤلؤة: وكتابنا هذا - بحمد الله سبحانه - لم يعمل مثله في كتب الأصحاب، ولم يسبق إليه سابق في هذا الباب، لاشتماله على جميع النصوص المتعلقة بكل مسألة. وجميع الأقوال، وجملة الفروع التي ترتبط بكل مسألة، إلا ما زاغ عنه البصر وحاد عنه النظر، ٢ - وقال تلميذ المؤلف الرجالي الكبير أبو علي الحائري في (منتهى المقال): هو كتاب جليل لم يعمل مثله جداً، جمع فيه الأقوال والأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار، ٣ - وقال مؤلف الدرر البهية: لقد صنف فأكثر، واشتهرت مصنفاته وكتبه لاسيما (الحدائق) فإنه كتاب لم يكن له نظير، ولا ينبئك مثل خبير. لقد أكب عليه الفقهاء، وتداولته الأوساط العلمية وأنديتها بكل إكبار وإعجاب ولا تكاد تجد فقيهاً إلا يأخذ منه ولا كتاباً فقيهاً إلا وينقل عنه، ولشدة اعتدادهم بالكتاب وكثرة مزاولتهم له نرى لهم على الكتاب قيوداً وتعليق، وكتبوا عليه شروحاً وحواشي منها: ١ - حاشية للمؤلف نفسه، وهي تعليق كثيرة طبعت بهامش الأصل في الطبعة الأولى، ٢ - حاشية لتلميذ المؤلف الفقيه الشهير السيد علي الطباطبائي الحائري مؤلف (الرياض) المتوفى ١٢٣١، ٣ - حاشية للسيد ميرزا إبراهيم الفسائي الشيرازي حفيد العلامة الجليل السيد علي خان الكبير، ٤ - حاشية للسيد إبراهيم بن محمد الموسوي الدزفولي الكرمانشاهي الحائري المتوفى قبل عام ١٣٠٠. وغيرهم.

١ - يقع الكتاب في تسعة عشر مجلداً وهو من تأليف المولى الشيخ أحمد النراقي المتوفى عام (١٢٤٥هـ)، وهو كتاب مبسوط في الفقه إلى آخر الفرائض، يمتاز بالدقة البليغة والأسلوب العميق، مع فرز جهات المسألة وجوانبها المختلفة وبيان تعارض الآراء وأسانيدها بالنقض والإبرام، كل ذلك ببضع أسطر أو صفحات. ولعل ما يكسب الكتاب قيمة ومكانة تفرسه (رحمه الله) في سائر العلوم، كالفلك والرياضيات، وترى آثار هذه المقدرة الفذة بارزة في بحث القبلة وكتاب الفرائض والمواريث وغيرها من المباحث التي يشتمل عليها الكتاب. والمشهور والمعروف عن (مستند الشيعة) أنه اختص وامتاز بكثرة تفريعاته إلى غاية ما يمكن، وذلك بعد تحقق أصل المسألة عنده وإثبات مشروعيتها. وحكي عن السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي صاحب كتاب العروة الوثقى أنه كان يراجع كتاب المستند في تفريعاته الفقهية، ويأمر تلامذته بالاستخراج منها. طبع بإيران مرتين أخيرهما سنة ١٣٢٥ في مجلدين ضخمين. المجلد الأول منه في الطهارة والصلاة تماماً إلى آخر صلاة المسافر. فرغ منه ببلدة كاشان في يوم الجمعة عاشر شعبان من سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف.

توجد عدة نسخ خطية من هذا الكتاب وهي: ١ - نسخة مكتبة (ملك) برقم ١٣١٧، وهي من أول الطهارة إلى أواخر صلاة المسافر، ٢ - نسخة مكتبة (ملك) برقم ٢٢٤٠، من مطلق الكسب إلى آخر المواريث، ٣ - نسخة مكتبة (ملك) برقم ١٤٣٧، وهي من أول كتاب الزكاة إلى آخر كتاب الحج، ٤ - نسخة مدرسة سبهاسالار (مطهرى) برقم ٢٢٣١، وهي مشتملة على كتاب الصلاة بأكمله، ٥ - نسخة مدرسة سبهاسالار (مطهرى) برقم ٢٣٣١، وهي من أول كتاب الزكاة إلى أواخر كتاب الحج، ٦ - نسخة مدرسة سبهاسالار (مطهرى) برقم ٢٣٣٠،

وأما من أراد الشواهد التاريخية على أن الإسلام أوجد مثل هذا المجتمع المتقدم، فعليه أن يراجع كتاب: (الدعوة إلى الإسلام)(١).

وكتاب (كيف انتشر الإسلام؟)(٢).

وكتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟)(٣).

وكتاب (المعذرة إلى محمد (صلى الله عليه وآله) والقرآن)(٤).

وكتاب (الفكر الإسلامي، ترجمه الشلبي)(٥).

وتشتمل على كتاب الفرائض وقسم من كتاب المطاعم والمشارب، ٧- نسخة مكتبة غرب في (همدان) من أول الطهارة إلى آخر الصلاة، ٨- نسخة مكتبة آية الله العظمى المرعشي برقم ٥٩٤٧، وهي من أول كتاب المطاعم والمشارب إلى آخر كتاب النكاح.

١- الدعوة إلى الإسلام للإمام محمد أبو زهرة، يقع الكتاب في ١٤٤ صفحة من الحجم ١٧×٢٤، تناول فيه المؤلف وجوب الدعوة بحكم تكليفي، الدعوة إلى الإسلام في حياة النبي (صلى الله عليه وآله)، الجهاد والدعوة إلى الإسلام، العدل ومقامه في الدعوة، الدعوة الإسلامية في العصر العباسي، الدعوة بالآحاد، التجارة والدعوة الأحادية، الفرق والطوائف، الدعوة الآن، تنظيم الدعوة، أساليب الدعوة، ماذا بعد الدعوة، وغيرها من المواضيع.

٢- للإمام المؤلف (قدس سره): يقع الجزء الأول من الكتاب في ٩٢ صفحة قياس ١٤×٢٠. وقد تناول المواضيع التالية: انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، الإسلام في آسيا، أفريقيا، الحبشة، إسبانيا، آسيا الوسطى، الصين، الهند، انحطاط العثمانيين، و.. ط: دار الصادق في بيروت - لبنان. قام بترجمته إلى اللغة الفارسية الشيخ علي الكاظمي، تحت عنوان (كسترش إسلام در جهان)، وطبع مراراً. وأما الجزء الثاني من الكتاب فقد فقدت النسخة الخطية منها في العراق على إثر مضايقات حكام الجور والظغاة.

٣- تأليف السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي معتمد دار العلوم ندوة العلماء بالهند وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق. يقع الكتاب في ٣٠٠ صفحة من الحجم الكبير وفيه يستعرض المؤلف أسباب انحطاط المسلمين الروحية والمادية ويصف ما حل بالمسلمين أنفسهم عندما تخلوا عن مبادئ دينهم ونكسوا عن تبعاتهم وما نزل بالعالم كله من فقدانه لهذه القيادة الراشدة من انتكاسة إلى الجاهلية الأولى ويرسم خط الانحدار الرهيب الذي تركز فيه الإنسانية في ذات الوقت الذي تفتح فيه آفاق العلم الباهرة. ظهرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٥٠م فكان الإقبال عليه شديداً فطبع مرة أخرى سنة ١٩٥١ كما طبع مرة ثالثة سنة ١٩٥٩ والطبعة السادسة سنة ١٩٦٥م، والكتاب واسع الانتشار في العواصم العربية والأوساط العلمية.

٤- ترجم إلى اللغة الفارسية أيضاً تحت عنوان (عذر تقصير به پیشگاه محمد وقرآن).

٥- الفكر الإسلامي منابعه وآثاره.. (مآثر المسلمين في مجال الدراسات العلمية والفلسفية) يقع الكتاب في ١٨٠ صفحة من الحجم ١٧×٢٤، حشد فيه المؤلف ألواناً من الفكر الإسلامي في ميادينته المختلفة بإيجاز غير مغل فملاً به فراغاً ملحوظاً في الدراسات الإسلامية، والكتاب مقسم إلى عدة أبواب تناول فيه المؤلف منابع الفكر الإسلامي ونشر العلوم والمعارف والأفكار العلمية وتطورها والأفكار الفلسفية وتطورها، وخاتمة في ضعف الفكر الإسلامي وأسبابه، ظهرت الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢ والطبعة الثامنة ١٩٨٦م. وهو تأليف M. M.

وكتب تواريخ التمدن الإسلامي التي كتبها جملة من المسلمين وغير المسلمين.
وكتاب (المسلمون في القارة الهندية).

على ما في جملة من هذه الكتب من المآخذ والإشكالات.

ومن الواقع أن اعترف إنني لم أجد إلى الآن - وعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود - كتاباً كافياً بالموضوع الأول، في سبك اليوم وأسلوب العصر، يبين مزايا الإسلام التي ذكرناها، ويوضح حضارة الإسلام كما هي، مع ذكر الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية والإمامية الشريفة.

كما لم أجد أيضاً، كتاباً كافياً بالموضوع الثاني، يبين فيه الشواهد التاريخية للحضارة الإسلامية، حين كانت قائمة في مختلف بلدان العالم.

ولعل الله سبحانه يقيض في المستقبل رجالاً أكفاء، لجمع المهمتين، في كتب خاصة، ليظهر جمال الإسلام على الملأ، نصوصاً وشواهد وأدلة، وانطباقاً على الواقع الخارجي، لعله يكون محفزاً للعالم أجمع لينضوا تحت لواء الإسلام من جديد.

خاتمة

بقيت كلمة: هي أن الإسلام إذا قام حكمه على الأرض، لم يكن ينفع المسلمين وبلاد الإسلام فحسب، بل كان نافعاً لجميع الأمم، وسائر البلاد.

فإن الحضارة الرفيعة لا بد وأن تجذب نظر الناس إلى نفسها، ولا بد وأن يقتبس الناس من أنوارها وأشعتها وإن لم ينضووا تحتها، كما دلت التجارب، وشهدت التواريخ، على نفس هذه الحقيقة بالنسبة إلى الحضارات السابقة، وبالنسبة إلى حضارة الغرب الحاضرة - بما في تلك وهذه من المآسي والويلات -.

بل دل التاريخ وشهدت الأدلة القاطعة، على أن الإسلام عند بزوغه وقيام حضارته أوجد في العالم تياراً من النور والعدل، لا عند المسلمين وفي بلاد الإسلام فحسب، بل في كل العالم، حتى أن نفس الغربيين يعترفون: بأن المسلمين هم آباء العلم الحديث، وهم بناء الحضارة الحاضرة في كل العالم، إذ رحلت حضارة الإسلام من إسبانيا إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق.

لكن المؤسف جداً، أن حضارة الإسلام لم تنم في نفس بلاد الإسلام نموها المنشود، بسبب بعض الحكام المنحرفين، وأشخاص من الرؤساء والأمراء النفعيين والجاهلين.

كما أن من المؤسف أن الغرب والشرق، لم يأخذوا إلا بقدر ضئيل من الحضارة الإسلامية، فإذا عاود المسلمون الكرة - وشاء الله سبحانه - أن ترجع الحضارة الإسلامية خالية عن الانحراف والنقص، لبهرت العالم بحضارة الإسلام وتمدنه، ولرأوا ما لم يكونوا يحملونه من السعادة والخير والرفاه.

وما ذلك على الله بعزيز، وهو الموفق المستعان.

كربلاء المقدسة

٨ ذي القعدة ١٣٨٩ هـ

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي